
حلفاء الشر
١٢
رجل المستحيل (١٢) حلفاء الشر ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة
د. نبيل فاروق
رجل المستحيل سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة
١٢
الثمن فى مصر
وما يعادل دولارًا أمريكيًا فى سائر الدول العربية والعالم
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
حلفاء الشر
● ترى ما سر التحالف بين أعداء (أدهم صبرى) القدامى ؟
● لماذا وقع اختيار حلفاء الشر هؤلاء على مدينة (ستوكهولم) كأرض للمعركة ؟
● لقد نجح (أدهم صبرى) فى القضاء على كل منهم على حدة ، فهل ينجح فى هزيمتهم مجتمعين ؟
● اقرأ التفاصيل المثيرة لترى كيف يعمل رجل المستحيل .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات الحربية ، لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ لقـاء الأعداء ..

توقفت سيارة بيضاء فارهة أمام فيلا أنيقة فى ضاحية هادئة من ضواحى مدينة (ستوكهولم) عاصمة السويد ، وهبطت منها شقراء جميلة ، رقيقة الملامح ، تصفف شعرها بشكل يشبه نجمات السينما ، ووقفت لحظة تتأمل الفيلا ، وقد دست فى خلالها سيجارة رفيعة فى مبسمها الطويل ، ثم وضعته بين أسنانها ، على حين أسرع سائق سيارتها يشعل السيجارة بقداحته ، ثم يقف بجوارها صامتا باحترام .

ونفثت هى دخان سيجارتها ، ثم قالت بهدوء وهى تخطو بخطوات رشيقة نحو الفيلا :

ــ ضع مسدسك على أهبة الاستعداد يا (ختنوس) ، فما زلت غير مطمئنة إلى صحة هذه الدعوة .

ثم سارت بثقة نحو باب الفيلا ، وقرعت الجرس ، وسرعان ما فتح الباب ، وظهر على عتبته رجل أصلع يحمل ملامح حوض البحر المتوسط ، ابتهجت أساريره حين وقع نظره عليها ، وصاح بترحاب وهو يمد يده ليلتقط أصابعها الرقيقة بمودّة :

ــ مرحبا يا دونا (ماريا) .. كم تسعدنى رؤيتك !! لقد قرأت بسعادة نبأ فرارك من السجن الإسبانى .. يا لك من عبقرية !!

انتظرت دونا (ماريا) حتى قبّل الرجل أطراف أصابعها بدبلوماسية ، ثم قالت وهى تخطو باطمئنان داخل الفيلا :

ــ يا للعجب !! أنت آخر من كنت أتوقع رؤيته هنا يا دون (مايكل) .. لقد تلقيت الدعوة من رجل آخر .

قال دون (مايكل) وهو يجلس على الأريكة بجوارها :

ــ لقد تلقيت أنا أيضا دعوة مماثلة يا عزيزتى ، ولكننى أعرف صاحبها ، فقد سبق أن تقابلنا من قبل .

ثم تأمل ملامحها وهلة قبل أن يقول بإعجاب :

ــ وبالمناسبة فهذا اللون الأشقر يبدو عجيبا عندما يقترن بلون بشرتك الأسمر .

زوت دونا (ماريا) ما بين حاجبيها ، وهى تقول بصرامة :

ــ لست سمراء إلى هذا الحد يا(مايكل) ، ثم إن هروبى من السجن يستلزم إجراء بعض التبديل فى ملامحى .

ضحك دون (مايكل) وهو يقول :

ــ ولكن هذه السيارة البيضاء الفارهة ، وتصفيفة الشعر المثيرة ، هذه أمور لا تتناسب مع شخص يحاول التخفى ، وعدم لفت الأنظار .

تجاهلت دونا (ماريا) تعليق دون (مايكل) الساخر ، وقالت وهى تخرج من حقيبتها الصغيرة برقية مطوية بعناية :

ــ لنعد إلى العمل .. لقد تلقيت هذه البرقية من شخص يعرفنى جيدا ، دعانى فيها للحضور إلى هذه الفيلا لمناقشة عمل يحتاج إلى اتحاد جميع الأفراد .. أصدقك القول : لقد أثارت هذه البرقية شكوكى فى البداية ، ولكن عدم إلقاء القبض علىّ طمأننى إلى أن مرسل البرقية لا يريد بى سوءًا ؛ ولذلك حضرت .

ثم اعتدلت ، ووجهت نظراتها إلى دون (مايكل) وهى تقول :

ــ تقول : إنك تعرف مرسل البرقية جيدا يا دون !.. من هو إذن ؟

سمعت دونا (ماريا) صوتا هادئا ، يأتى من خلفها قائلا :

ــ إنه أنا يا عزيزتى (ماريا) .

التفتت دونا إلى مصدر الصوت بحدة ، ثم ضاقت عيناها الجميلتان وهى تتأمل صاحبه .. كان رجلا عجوزًا ، أصلع الرأس ، أشيب السالفين ، له أنف



التفتت (دونا) إلى مصدر الصوت بحدة ، ثم ضاقت عيناها الجميلتان وهى تتأمل صاحبه ..

أجدع ، وعينان ضيقتان ، تنم ملامحه عن الخبث والدهاء ، يجلس على مقعد متحرّك ، من ذلك النوع الذى يستخدمه المعوّقون .

وبعد فترة من الصمت قالت (دونا) وهى تتأمل الرجل :

ــ هل أعرفك يا سنيور ؟

ابتسم العجوز بدهاء ، وقال وهو يدفع بساعديه عجلات مقعده المتحرك نحو الأريكة :

ــ اسمى (حاييم) أيتها الحسناء .. (حاييم شيمون) .. لم يسبق لنا أن تقابلنا من قبل ، ولكن علاقتى بدون (مايكل) قديمة ، وأنا صديق شخصى لوالده دون (ريكاردو) ، كما سبق أن تعاونا معًا ..

ثم ضاقت حدقتاه ، والتمعتا بالحقد وهو يقول :

ــ كما أن لنا جميعا عدوًّا مشتركا يجمع بيننا يا ملكة الجريمة .

أطفأت (دونا) سيجارتها فى المنفضة المجاورة ،

دون أن تبعد بصرها عن (حاييم) ، وقالت بهدوء :

ــ لعلك تعنى ....

أومأ (حاييم) برأسه إيجابا ، وقال بصوت امتزج فيه الحقد الشديد بالكراهية المفعمة :

ــ نعم أيتها الفاتنة .. إننى أعنى ألد أعدائنا جميعا .. هذا الشيطان المصرى المسمى (أدهم صبرى) .

التمعت عينا دونا (ماريا) بغضب عند سماعها اسم (أدهم صبرى) ، على حين ضغط دون (مايكل) على أسنانه بقوة ، أصدرت صريرا مسموعا ، ثم قال ببطء :

ــ هل جمعتنا هنا من أجل هذا الشيطان يا سنيور (حاييم) ؟

عاد (حاييم) يومئ برأسه إيجابا ، وهو يتأمل بابتسامة نصر ذلك الأثر الذى تركه ذكر اسم (أدهم صبرى) على ملامحها ، ثم قال :

— من الواضح أننا جميعا نحمل الكثير من البغضاء تجاه هذا الرجل الذى هزم كلّا منا منفردا .

قالت دونا (ماريا) بهدوء وهى تدس فى مبسمها سيجارة أخرى :

— هل تقصد أننا لو تعاونا جميعا سننجح فى القضاء عليه يا سنيور (حاييم) ؟

قال (حاييم) بتأكيد :

— بلا شك يا عزيزتى (ماريا) .

ضرب دون (مايكل) المنضدة بقبضته ، وقال :

— اسمع يا سنيور (حاييم) .. لقد سبق لهذا الشيطان أن نجح لأول مرة فى التاريخ فى هزيمة عصابات (المافيا) التى أتشرف بزعامتها ، وأنا مستعد للقيام بأى عمل تشير به ، لو أن ذلك يضمن قضاءنا عليه .

قال (حاييم) بهدوء وقد اتسعت ابتسامة النصر المرتسمة على شفتيه :

— لقد أعددت كل شىء يا (دون) .. ولن ينجح

(أدهم صبرى) أبدا مهما أوتى من القوة والدهاء فى التغلب على دونا (ماريا) ورجالها ، إذا ما انضموا إلى رجال (المافيا) بزعامتك يا (دون) ، وخاصة إذا ما أخذناه على غرة ، دون أن يكون مستعدا للقتال .

ابتسمت دونا (ماريا) بسخرية ، وقالت :

— يخيل إلىّ أن هذا الرجل الشيطان مستعد للقتال فى أية لحظة يا سنيور (حاييم) .

ابتسم (حاييم) بخبث ، وقال :

— ليس فى هذه المرة يا (دونا) .. سيصل (أدهم صبرى) إلى (ستوكهولم) فى زيارة ودّية دون أن يكون مكلفا أية مهمة على الإطلاق ، وهذه فرصتنا يا عزيزتى .

ضاقت حدقتا (دونا) وهى تنظر إلى (حاييم) بتساؤل ، على حين سأله دون (مايكل) :

— هل حصلت على هذه المعلومات بواسطة مخابرات دولتك يا سنيور (حاييم) ؟

اكتسى وجه (حاييم) بالأسى ، وأطرق برأسه قليلا قبل أن يقول بمزيج من الحقد والأسف :

— لا يا (دونا) .. لم أعد أنتمى إلى مخابرات دولتى .. أعنى أننى لم أعد أعمل فى هذا المجال .

نظر إليه دون (مايكل) بدهشة وتساؤل ، فتابع قائلا وهو يشير إلى مقعده المتحرك :

— لقد تقاعدت بعد إصابتى بالعجز من جرّاء سقوطى من سيارة مسرعة ، كان يقودها ذلك الشيطان المصرى ، فى آخر مواجهة لنا على الأراضى المكسيكية .

ابتسمت دونا (ماريا) بتهكم وخبث ، وقالت :

— إذن فقد أصبحت وحيدا منبوذا يا سنيور (حاييم) ، وأنت تلجأ إلى الانتقام الشخصى عن طريق دونا (ماريا) ودون (مايكل) .. يا لك من منافق !!

احتقن وجه (حاييم) وهو يقول :

— إننى لم أتوقف يوما عن محاربة هذا الشيطان (أدهم صبرى) يا دونا .

قالت دونا بسخرية أشد مرارة :

— ولم تنجح فى التخلص منه أيضا أيها العجوز .

ضغط (حاييم) على أسنانه بغضب ، وهمّ بالتحدث ، إلّا أن دون (مايكل) قاطعه قائلا :

— حسنا يا سنيور (حاييم) أيا كانت الأسباب التى دفعتك لذلك ، فأنا معك .. أكمل ما كنت تقوله .. كيف علمت بزيارة (أدهم صبرى) الودّية للسويد ؟

زفر (حاييم) بضيق ، وقال :

— سيقام حفل توزيع جوائز نوبل للسلام ، هنا فى نهاية هذا الأسبوع يا (دون) ، وستمنح جائزة الطب والعلوم إلى طبيب مصرى يعمل هنا منذ سبعة أعوام فى مجال جراحة المخ والأعصاب ، من أجل أحد كشوفه بشأن الأجهزة التعويضية ..

ثم صمت لحظة قبل أن يقول :

— وهذا الطبيب المصرى يدعى (أحمد صبرى) .

قال دون بدهشة :

ـ هل هو ..؟

وقبل أن يتم عبارته قاطعه (حاييم) قائلا :

ـ نعم يا (دون) .. إنه شقيق (أدهم صبرى) وسيحضر هذا الأخير بالتأكيد حفل تسليم الجائزة لشقيقه ، وسيكون حينئذ غير مستعد للقتال على الإطلاق ..

قالت دونا (ماريا) بابتسامة رقيقة :

ـ ولكننا سنكون مستعدين للتخلص منه ، أليس كذلك ؟.. إنها فكرة ذكيّة يا سنيور (حاييم) ؛ ولذلك سأنضم أنا ورجالى إليكما حتى نمزق هذا الشيطان شر ممزّق .

وأعقبت قولها بأن أطلقت من حنجرتها ضحكة رقيقة هادئة لا تتناسب قط مع هذا الحوار الذى انتهى بتحالف قوى الشر والإجرام .

* * *

٢ ـ مفاجأة فى منتصف الليل ..

تردّد صوت قائد الطائرة يعلن وصولها إلى مطار (ستوكهولم) ، ويطلب من الراكبين ربط الأحزمة والامتناع عن التدخين استعدادا للهبوط ، فالتفت (أدهم) إلى (منى) وقال :

ـ ها نحن أولاء نصل إلى عاصمة من أجمل عواصم أوربة دون أن تسند إلينا فيها أية مهام أيتها الملازم .

ابتسمت (منى) ، وقالت وهى تشير بسبابتها محذرة فى دعابة :

ـ احترس يا سيادة المقدم .. يجب أن تنادينى من الآن فصاعدا بأيتها النقيب .. أنسيت أننى قد حصلت على الرتبة رسميا صباح أمس ؟.

رفع (أدهم) يده نحو رأسه بتحية عسكرية سريعة وهو يقول مداعبا :

ـ عفوا يا سيادة النقيب .. لقد تحدثت بحكم العادة .

ضحكت (منى) ، ثم سألته :

ـ ترى هل يشبهك شقيقك يا سيدى ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيا ، وقال :

ـ مطلقا يا عزيزتى .. من الصعب أن يربط أى إنسان بين ملامحى وملامحه .

ابتسمت (منى) بخبث ، وقالت :

ـ قد تختلفان فى المظاهر الخارجية يا سيدى ، ولكننى عرفت أن الدكتور (أحمد صبرى) يمتلك نفس القدر من الإصرار والعناد ، والإخلاص فى العمل ، وهذا ما ساعده على أن يصبح أصغر من يحصل على درجة الدكتوراه ، برغم صعوبة التخصص الذى يعمل فيه ، ألا وهو جراحة المخ والأعصاب ، وهذا أيضا ما دفعهم دفعا إلى ترشيحه لنيل جائزة نوبل فى مجال الطب والعلوم .

ألقى إليها (أدهم) بنظرة جانبية ، وقال باسما :

ـ من الواضح أنك قد جمعت الكثير من المعلومات عن شقيقى الأصغر يا (منى) .

هزت (منى) كتفيها ، وقالت :

ـ إن أخباره تملأ صفحات الجرائد المصرية والعالمية يا سيدى .

ساد بينهما الصمت لحظة قبل أن تردف (منى) قائلة :

ـ ومن المفارقات الطريفة التى تؤكد التقارب بينك وبين شقيقك أنهم يطلقون عليه فى الأوساط الطبية لقب .. رجل المستحيل .

* * *

انطلقت السيارة التى استأجرها (أدهم) ، والتى يقودها وإلى جواره (منى) نحو منطقة منعزلة على أطراف (ستوكهولم) ، وقالت (منى) عندما لاحت أمامها فيلا أنيقة فى منطقة هادئة ، تقف منفردة وسط الحقول الغناء :

ـــ يا له من مكان يبعث الهدوء فى النفس !! يبدو أن شقيقك يختلف عنك فى ميله إلى الهدوء يا سيدى .

أجابها (أدهم) وهو يميل بالسيارة نحو الطريق الجانبى ، الذى يقود إلى مدخل الفيلا مباشرة :

ـــ هذا صحيح .. حتى أننى أخشى أن أحمل مسدسًا عندما أفكر فى زيارته .

سألته (منى) :

ـــ ألم تحضر مسدسك حقا يا سيدى؟

مطّ (أدهم) شفتيه وهو يقول :

ـــ لقد فضّلت ذلك يا (منى) حتى يمكننى أن أشعر بأننى حقا فى إجازة ، وسيزداد شعورى بذلك لو توقفت عن مناداتى ياسيدى .

وقبل أن تتفوه (منى) بكلمة لمحت رجلا يقف على جانب الفيلا ملوحا بذراعه نحوهما ، وشاهدت (أدهم) يرد التحية وهو يقول بسعادة غامرة :

ـــ ها هو ذا شقيقى الطبيب يا عزيزتى (منى) ..

لا يمكنك أن تتصورى مدى سعادتى برؤيته .

توقفت السيارة أمام الفيلا ، وأسرع كل من الشقيقين نحو الآخر ، وتعانقا بحرارة .. ثم أمسك (أحمد) بكتفى (أدهم) ، وقال بسعادة وهو يتأمله بشوق :

ـــ مرحبا بقدومك يا شقيقى العزيز .. كم أنا متشوق لرؤيتك ، برغم المتاعب التى تجلبها خلفك .. يا إلهى !! لقد بدأ الشيب يغزو فوديك وأنت لم تصل إلى الأربعين بعد ..

ثم تنبه إلى وجود (منى) ، فالتفت يصافحها بحرارة وهو يقول :

ـــ معذرة يا آنسة لقد شغلنى لقاء أخى الحبيب عن الترحيب بك ..

صافحته (منى) وهى تتمتم ببعض عبارات المجاملة ، على حين انشغلت عيناها بتأمل الدكتور (أحمد صبرى) فقد كان حقا يختلف عن شقيقه

(أدهم) فى كثير من الوجوه ، فهو قصير نوعا ما إذ يقارب (منى) فى الطول تقريبا ، وملامحه هادئة وديعة ، ووجهه أقرب إلى الاستدارة منه إلى الطول ، وتحيط بفمه لحية صغيرة ، وشارب كث ، كما تراجع شعر سالفيه تاركا فراغا أصلع خفيفًا .. لم تكن ملامحه تشبه (أدهم) على الإطلاق إلا فى ذلك البريق الجذّاب الذى يشع من عينى كلا منهما نامًا عن الذكاء والإصرار ..

وانقطعت تأملات (منى) عندما أشار إليهما (أحمد) بالدخول وهو يقول باسما :

ـــ هيّا .. سنتحدث فى الكثير من الأمور بعد أن تحصلا على القدر الكافى من الراحة وسيطول حديثنا ، فلقد مضى ما يقرب من العام منذ آخر لقاء لى مع شقيقى رجل المتاعب .

ضحكت (منى) وقالت بخبث وهى تتأمل وجه (أدهم) الذى ابتسم بسعادة ، وربّتت على كتف أخيه :

ـــ يا له من لقب !! ترى ماذا سيقول رجال الإدارة عندما يعلمون أن رجلهم قد تحول فى نظر شقيقه من رجل المستحيل إلى رجل المتاعب .

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية عشرة إلا خمس دقائق قبيل منتصف الليل عندما تثاءبت (منى) ، وقالت وهى تشير إلى الدكتور (أحمد صبرى) :

ـــ هل تعلم يا دكتور (أحمد) .. أنك تختلف عن شقيقك تماما ؟ فأنت تتحدث بهدوء شديد ، وتهذيب ، ولا تميل إلى السخرية من محدثك .

قهقه (أدهم) ضاحكا ، على حين ابتسم الدكتور (أحمد) ، وقال وهو يختلس النظر إلى شقيقه :

ـــ لا تدعى هذه السخرية التى يتميز بها (أدهم) تخدعك يا آنسة (منى) ، فهو على عكس ما يُظهر عاطفى جدا ، ولو أن والدينا كانا على قيد الحياة لأكَّدا لكِ ما أقول .

ابتسمت (منى) ، وقالت وهى تتأمل (أدهم) بنظرة عجزت عن أن تخفى ما بها من إعجاب :

— لقد لاحظت ذلك يا دكتور (أحمد) ، فبرغم شراسته الشديدة فى أثناء القتال إلاّ أنه يتحاشى القتل دائما ما دام يستطيع النجاح ، دون أن يلجأ إليه ، فطوال فترة عملنا معا لم أشاهده يوجه رصاصة واحدة قاتلة إلى أشد الناس عداوة لنا .

ابتسم (أدهم) بهدوء وهو يتثاءب ، على حين بدأت الساعة المعلقة على الحائط تدق معلنة منتصف الليل تماما ، فقال (أدهم) وهو ينهض من مقعده بتكاسل :

— أعتقد أننى سأتوجه إلى فراشى توًّا ، فلقد داعب النوم جفونى ، وليست لدى الرغبة فى مقاومته .

سار (أدهم) نحو السلم الداخلى الذى يقود إلى الطابق العلوى من الفيلا بعد أن ألقى التحية على (منى) وشقيقه ، وما أن تلاشى رنين آخر دقات

الساعة وقبل أن يضع (أدهم) قدمه على أولى درجات السلم — حتى انهمر وابل من الرصاص محطّما نوافذ الفيلا ، ومهشما المصباح الذى يضىء حجرة المعيشة .

* * *



٣ — الحرب الشعواء ..

كان (أدهم) صاحب أسرع ردّ فعل كالعادة ؛ إذ قفز نحو (منى) ودفعها لينبطحا معًا فوق أرضية الغرفة وهو يصيح بشقيقه :

— انبطح أرضا يا (أحمد) .

انبطح الثلاثة على الأرض دون أن يتوقف دوىّ الرصاص أو انهماره ، فصاحت (منى) بمزيج من الدهشة والذعر :

— يا إلهى !! ماذا حدث ؟.. هل اشتعلت الحرب العالمية الثالثة دون أن ندرى ؟

قال (أدهم) بسخرية :

— الأمر يذكرنى بحرب العصابات القديمة يا عزيزتى ، ولست أدرى لماذا أشتم رائحة أعدائنا القدامى مختلطة برائحة البارود المحترق من هذه المدافع الرشاشة ، التى



كان (أدهم) صاحب أسرع ردّ فعل كالعادة ؛ إذ قفز نحو (منى) ودفعها لينبطحا معًا فوق أرضية الغرفة ..

تطلق رصاصها نحونا بسخاء .

فوجئت (منى) بالدكتور (أحمد صبرى) يقول بلهجة تهكمية مألوفة :

ــ ألم أؤكد لك أنه يحمل المتاعل خلفه دائما أينما ذهب ؟

ضحك (أدهم) بسخرية كأنه يشاهد فيلما سينمائيا فكاهيا ، وقال بصوت حاول أن يعلو به فوق صوت الرصاصات ، التى حطمت تقريبا كل محتويات الغرفة .

ــ أما زلت تمارس هواية الصيد تحت الماء يا شقيقى العزيز ؟

أجابه الدكتور (أحمد) بنفس الهدوء العجيب الذى زاد من دهشة (منى) :

ــ بلى .. والأكثر طرافة أن لدى هنا وعاء ضخما يحتوى على بعض الوقود الإضافى الخاص بزورق البخارى .. وعددًا من الزجاجات الفارغة .

قال (أدهم) وهو يتحرك بسرعة زاحفا نحو السلم الداخلى :

ــ رائع .. أما زال قبْوُك فى مكانه القديم ؟

صاحت (منى) بدهشة وهى تحاول أن تتابع (أدهم) ببصرها وسط الظلام السائد :

ــ رباه !! ماذا يحاول أن يفعل ؟

ربّت الدكتور (أحمد) على كتفها محاولا تهدئتها ، وهو يقول بصوت بدأ القلق يسرى إليه :

ــ لا تقلقى يا عزيزتى .. سيلجأ شقيقى إلى وسيلة قديمة مشهورة باسم (قنابل مولوتوف) .

وعند هذه اللحظة توقّف سيل الرصاص المنهمر على الفيلا ، وساد سكون عجيب ، فقالت (منى) بصوت خافت مضطرب :

ــ لقد توقّف إطلاق النار .. ترى ماذا يحاولون ؟

تحرك الدكتور (أحمد) بحذر نحو النافذة المهشمة ، وقال بعد أن ألقى منها نظرة سريعة :

ــ إنهم يتحركون بحذر نحو الفيلا ، فهم بحاجة للتأكد من نتائج هجومهم المباغت .. أرجو أن يسرع (أدهم) .

وما أن انتهى من عبارته حتى سمع صوت (أدهم) يأتى من خلفه هادئا وهو يقول :

ــ سنتعاون جميعا فى إعداد سلاحنا يا شقيقى العزيز .. لقد أحضرت وعاء الوقود والزجاجات الفارغة .. وشمعة صغيرة .. بالإضافة إلى بعض الخرق القماشية .. ستقوم زميلتنا (منى) بملء الزجاجات بالبنزين ، وتدسّ أنت فيها الخرق .. أما أنا فسأتولى بسعادة مهمة إهدائها إلى هؤلاء الأوغاد الذين يحيطون بالفيلا .

* * *

قال أحد الرجال المحيطين بالفيلا لزميله وهو يعيد حشو مدفعه الرشاش :

ــ هل تظن أننا قد قضينا على ذلك الشيطان

المصرى كما أمرنا دون (مايكل) ؟

هز زميله رأسه ، وقال :

ــ لن يمكننى الجزم بذلك ما لم أشاهد بنفسى جثته مملوءة برصاصنا .. لقد سبق لى أن جابهته فى إيطاليا ، ولن يغيب ذلك عن ذاكرتى مطلقا .

قال الرجل بحيرة :

ــ لماذا إذن توقفنا عن إطلاق النار ؟

أجابه زميله بهدوء :

ــ سنحاول اقتحام الفيلا للتأكد من نتائج مهمتنا ياصديقى، لست أحب أن يصيب أحدنا الآخر وسط هذا الظلام .. كما أخشى أن يتسلل هذا الشيطان وسطنا كما حدث سابقا .

وفجأة أشار الرجل الأول إلى الفيلا وهو يصيح :

ــ انظر .. لقد اشتعل عود من الثقاب أو شىء من هذا القبيل .. إنه يحاول خدعة ما .

قال زميله بصوت عال :

— أطلقوا النيران أيها الرجال .

عاد الرصاص ينهمر على الفيلا فى نفس اللحظة التى اندفعت فيها زجاجة مشتعلة نحو رجال دون (مايكل) ، وانفجرت وسطهم بدوىّ شديد ، ناشرة النيران فى دائرة واسعة ، أعقبتها زجاجة أخرى ، انفجرت على بعد أمتار من الأولى لتتسع دائرة النيران .

سادت الفوضى بين صفوف رجال دون (مايكل) ، ولمّا كانوا غير مدربين على القتال المنظم فقد بدأ كل منهم يتصرف بالوسيلة التى يراها مناسبة ، فزاد هذا من الارتباك ، على حين لم تتوقف الزجاجات المشتعلة عن الانفجار وسطهم ، بأسلوب منظم هادئ ، واشتعلت النيران فى ملابس بعض الرجال ، وانطلقت من حناجرهم صيحات الألم والرعب ، وانطلقوا يعدون على غير هدى فى كل الاتجاهات ، وكلما حاول أحدهم الهجوم باتجاه الفيلا انفجرت بجواره إحدى الزجاجات المشتعلة ، لتنتشر نيرانها فى ملابسه ،

إلى أن صاح زعيمهم بصوت أشد ذعرا من رجاله :

— تراجعوا .. تراجعوا جميعا .

وكأنما كانوا ينتظرون هذا الأمر ، فأسرع الناجون منهم نحو سياراتهم ، وقد غاب عن ذهنهم أنهم إنما يحاربون رجلا واحدا .. ولكنه رجل يقاتل بشراسة كجيش منظم .

* * *

ضحك الدكتور (أحمد) بسخرية وهو يتطلع إلى السيارات التى ابتعدت بسرعة ، وكأن الشياطين تطاردها ، وقال وهو يربّت على كتف (أدهم) :

— يا للهول !! لقد تغلبنا على جيش كامل يا شقيقى العزيز .. انظر إلى هذه السيارات التى تبتعد برعب .. إنها عشر سيارات على الأقل .

أجاب (أدهم) بهدوء :

— إحدى عشرة يا أخى .. ولكن هناك ما أثار انتباهى أكثر من ذلك .

ثم التفت إلى (منى) وسألها :

— هل لاحظت تلك اللغة التى صدر بها أمر التراجع يا (منى) ؟

أومأت (منى) برأسها إيجابا ، وقالت :

— نعم يا سيدى ، ولقد اتجه ذهنى عند سماعها إلى عدوّ قديم .

ضمّ (أدهم) ساعديه أمام صدره وهو يقول :

— تمام .. إنه دون (مايكل) ، زعيم عصابات (المافيا) الذى هزمناه سابقا فى إيطاليا .

ثم أردف بلهجته الساخرة قائلا :

— لقد حوّلنا عنصر المفاجأة الذى اعتمد عليه هذا الشرير إلى رجاله ، وأعتقد — أيتها الملازم — أننا لن نتمتع بهذه الإجازة ، فمن الواضح أن دون (مايكل) قد قرر تحويلها إلى حرب شعواء .

* * *

ضرب (حاييم) المنضدة بقبضته غاضبا ، وهو

يصيح فى وجه دون (مايكل) :

— يبدو أنك تقود جماعة من الجبناء يا (دون) .. إنكم لا تصلحون مطلقا للقتال .. لقد تراخيتم وأصبحتم تعتمدون على سمعتكم الإرهابية فقط .. كيف يتراجع خمسون رجلا من أكفأ رجال (المافيا) على حد زعمك أمام رجل واحد ، مهما بلغت قوته .

صاح دون (مايكل) بغضب :

— احترس عندما تتحدث مع دون (مايكل) بهذا الأسلوب الفجّ أيها العجوز .. ولا تنس أنك تتحدث مع زعيم عصابات (المافيا) التى يثير مجرد ذكر اسمها الرعب فى القلوب .

أطلق (حاييم) ضحكة عالية ساخرة ، وقال :

— هذا واضح يا (دون) .. ها قد ارتجف رجالك ، وانسحبوا بذعر عند مواجهتهم لبعض قنابل المولوتوف التى يصنعها الهواة .

التفت دون (مايكل) نحو دونا (ماريا) التى

جلست تدخن سيجارتها بهدوء ، وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة ، وقال وكأنه يبرّر ما حدث :

ــ إن رجالى لم يتوقعوا مثل هذا الهجوم بالقنابل المشتعلة ، فقد أرسلتهم للتخلص من رجل أعزل .. كيف لى أن أتصور أنه سيلجأ إلى مثل هذه الأساليب الشيطانية ؟!

صاح (حاييم) بغضب عارم :

ــ هذا هو الخطأ يا (دون) .. لا بدّ أن تتصور أى شىء .. أىّ ردّ فعل ما دمنا نواجه هذا الشيطان (أدهم صبرى) .. لقد أضاع رجالك بجبنهم عنصر المفاجأة الذى يمثل أكثر من تسعين فى المائة من النصر .. ماذا ستفعل الآن إذا ما تدخلت المخابرات المصرية لحماية رجلها ؟

قالت دونا (ماريا) بهدوء وهى تطفئ سيجارتها بحركة مسرحية :

ــ سنواصل الهجوم قبل أن تتاح الفرصة لتدخل

المخابرات المصرية يا سنيور (حاييم) .. سنحطم (أدهم صبرى) أينما كان .

زفر (حاييم) بغضب ، وقال :

ــ لم يعد ذلك أمرا سهلا يا (دونا) .. لقد عرف هذا الشيطان أننا خلفه ، ولن يقف ساكنا .. لقد كنا نتوقع المكان الذى سيذهب إليه فور أن أبلغنا رجالنا بوصوله إلى (ستوكهولم) .. أما الآن فلن يمكننا العثور عليه مطلقا .

ضحكت دونا (ماريا) ضحكة رقيقة عجيبة ، وقالت :

ــ هذا لأنك لا تفكر بالشكل الصحيح أيها العجوز ، برغم خبراتك السابقة فى عالم المخابرات .. أما أنا فقد أمرت بعض رجالى بمراقبة الهجوم على الفيلا من بعيد ، وإبلاغى بما سيسفر عنه الأمر ، ولا بدّ أنهم الآن قد تعقبوا (أدهم صبرى) ، وما هى إلا لحظات حتى يخبروننى أين ذهب .

وما أن أتمت عبارتها حتى انبعث رنين الهاتف ، فابتسمت هى ابتسامة نصر ، وقالت وهى تتناول السماعة بحركة رشيقة :

ــ هاهم أولاء.. ستعلمون الآن أن دونا (ماريا) هى الأجدر بالقيادة .

امتقع وجه (حاييم) ، على حين تغضن جبين دون (مايكل) غضبا ، وبرقت عينا دونا (ماريا) وهى تستمع إلى المكالمة بصمت ، ثم وضعت السماعة ، وتناولت سيجارة دستها فى مبسمها ، وأشعلتها بهدوء ، فصاح (حاييم) يسألها بلهفة :

ــ أين وجدوه يا (دونا) ؟.. أين ؟

أجابت (دونا) بهدوء :

ــ لقد أبلغ شقيقه رجال الشرطة بما حدث .. يبدو أنه إنسان مباشر يلجأ إلى الوسائل الشرعية بصورة تلقائية .. ثم توجهوا إلى المستشفى الذى يعمل به الطبيب .



امتقع وجه (حاييم) ، على حين تغضن جبين دون (مايكل) غضبا ، وبرقت عينا دونا (ماريا) وهى تستمع إلى المكالمة .

ثم ضحكت برقة قبل أن تتابع قائلة :

ــ يبدو أن هذا الشيطان المصرى قد فضل البقاء تحت حماية شقيقه .

ابتسم (حاييم) بسخرية ، وقال :

ــ هذا يثبت أنك لا تعلمين شيئا عن (أدهم صبرى) أيتها الحسناء .. إذا كان قد ذهب بصحبة شقيقه إلى حيث يعمل فهذا يعنى أنه يهدف إلى حماية شقيقه ، قبل أن يواصل هو القتال ..

ثم التفت إلى دون (مايكل) ، وقال :

ــ مُر رجالك بنسف المستشفى بأكمله يا (دون) .. وأسرع قبل أن نفقد أثر هذا الشيطان مرة أخرى .

ضحكت دونا (ماريا) بسخرية ، وقالت :

ــ لقد أعماك الحقد أيها العجوز .. هل تتصور إمكانية نسف مستشفى ضخم كهذا ؟.. هدئ من روعك .. سيغادر (أدهم صبرى) المستشفى إن آجلا

أو عاجلا ، وحين يفعل ذلك سيكون رجالى فى انتظاره .

ضاقت عينا دون (مايكل) وهو يشير بسبابته قائلا :

ــ لست أمتلك الصبر الكافى للانتظار يا (دونا) .. ثم إن لدى خطة أفضل .

* * *



٤ ــ قتال العمالقة ..

تطلّع الدكتور (أحمد صبرى) إلى شقيقه المنهمك فى عمل عجيب ، ثم ابتسم وهو يقول :

ــ ما زالت أساليبك تثير دهشتى يا أخى العزيز .. لم أتصوّر أبدا أن بعض المواد الكيمياوية البسيطة من معمل المستشفى يمكنها أن تبدل ملامحك إلى هذا الحد ..

قالت (منى) بهدوء وهى تثبت قبعة التمريض المميزة فوق رأسها :

ــ لم يعد هناك ما يثير دهشتى فيما يختص بشقيقك يا دكتور (أحمد) إلّا عندما يتحدث معى بلهجة ودّية .

قال (أدهم) بجدّية ، وهو يضع اللمسات الأخيرة فى تنكره المتقن :

ــ لقد أفسد دون (مايكل) إجازتى أيتها الملازم .. معذرة .. أقصد أيتها النقيب ، ولن أغفر له ذلك مطلقا .. لقد أعلنها حربا شعواء ، ولن أسمح له بالانتصار فيها أبدا .

ثم التفت إلى شقيقه ، وقال :

ــ عدنى بأن تبقى هنا حتى أعود يا (أحمد) .. ستعمل (منى) على حمايتك ، وهى جديرة بذلك .

ابتسم الدكتور (أحمد) ، وقال :

ــ برغم أننى أضيق بأن أكون تحت حماية فتاة يا (أدهم) إلّا أنه يسعدنى البقاء بصحبة إنسانة ممتازة كالنقيب (منى) .

تخضّب وجه (منى) بحمرة الخجل وهى تقول :

ــ شكرًا لك يا دكتور (أحمد) .. كم أتمنى لو أن شقيقك قد اكتسب أسلوبك الرقيق فى الحديث .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، ثم صافحهما ، وغادر المكان ، وهنا ظهر القلق على ملامحهما ، وقال الدكتور

(أحمد) بنبرات متهدجة :

ــ إننى أصلى إلى الله أن يعيده سالما إلينا يا (منى) .. فإننى أختلف عن أخى تماما فى معالجتنا للأمور .

هزّت (منى) رأسها نفيا ، وقالت :

ــ لقد كنت أظن ذلك يا دكتور حتى سمعت لهجتك الساخرة ، ورأيت أعصابك الباردة عندما هاجمنا رجال دون (مايكل) .. صدقنى يا سيدى ، إن كليكما يستحق عن جدارة لقب رجل المستحيل .

* * *

لم يثر ذلك الشاب الهادئ ــ صاحب الخصلة البيضاء فى منتصف رأسه ، والمنظار الطبى الضخم ، والشارب الكث ، والذى يسير فى هدوء إلى خارج مبنى المستشفى الضخم ــ انتباه رجال دونا (ماريا) الذين يرابطون أمام المستشفى فى انتظار خروج (أدهم صبرى) ، الذى وزع (حاييم) صورته عليهم جميعا ،

ولم ينتبه أحدهم إلى أن هذا الشاب قد اتخذ فى سيره دورة واسعة قبل أن يسير بهدوء بجوار سيارتهم ، ويحصى عددهم بنظرة سريعة ..

كانوا خمسة رجال ضخام الجثة ، يبدو انتفاخ ستراتهم واضحا لمحترف مثله .. لم يكن يحتاج إلى كثير من الذكاء ليعلم أن هذا الانتفاخ ناتج عن مسدسات ضخمة ، تختفى هناك على أهبة الاستعداد للانطلاق ، إذا ما حانت لحظة الخطر ، وأن أصحابها محترفون لن يتردّدوا لحظة فى استخدامها ، وبرغم ذلك ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، غير مبالية ، وهو يتجه بهدوء إلى الباب الأمامى للسيارة ، ويدقّ على زجاجه بأصابعه ، التى تختفى خلف قفاز جلدى أسود ..

التفت إليه الرجل الذى يجلس أمام عجلة القيادة بحدة وغضب ، ولكن غضبه لم يستغرق سوى ثانية واحدة ؛ إذ حطّمت قبضة (أدهم) الزجاج ، وتوجهت كالقنبلة إلى فكه مهشمة إياه ، ثم تراجعت

بسرعة مذهلة ورشاقة مدهشة ، لتلتقط أصابعه المسدس الذى يختفى خلف سترة الرجل ، ويشهره فى وجه الرجال الأربعة الآخرين ..

كان للمفاجأة أثر السحر على الرجال الأربعة ؛ إذ تدلت فكوكهم ببلاهة ، وتسمرت أيديهم فى طريقها إلى مسدساتهم ، وارتعدت فرائصهم أمام تلك الابتسامة الساخرة ، التى ارتسمت على شفتى الرجل ، الذى يصوّب إليهم مسدس زميلهم ، وهو يقول باللغة الإيطالية السليمة :

ــ يبدو أن دون (مايكل) يفضل دائما استخدام الأغبياء ، ذوى الأجسام الضخمة .

مرت لحظة صمت قبل أن يقول أحد الرجال باللغة الإسبانية :

ــ لن تنجو من براثن دونا (ماريا) أيها الشيطان المصرى .

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وقال بدهشة :

ــ دونا (ماريا) ؟.. هل تحاول خداعى أيها المجرم ؟

ثم قال بلهجة متغيرة :

ــ لحظة .. إنك تتحدث الإسبانية .. كما أننى لم أخطئ فى معرفة اللغة الإيطالية التى سمعتها إبان الهجوم على الفيلا .. لو أن ما يدور فى ذهنى صحيح فإن زعيمتكم الأفعى الحسناء قد تحالفت مع (المافيا) من أجل القضاء علىّ .

وابتسم بسخرية وهو يقول :

ــ يبدو أننى أكثر خطورة مما كنت أظن .. هيّا أيها الأفيال .. غادروا السيارة فلدينا ما يجب أن نناقشه معًا .

غادر العمالقة الأربعة السيارة بعد لحظة من التردد غير ملتفتين إلى زميلهم الذى تهشم فكه ، وفقد الوعى أمام عجلة القيادة ..

وفجأة ضرب أحدهم المسدس الذى يصوبه (أدهم)

إليهم ، وأسرع الثلاثة الآخرون ينتزعون مسدساتهم ، وقد منّى كل منهم نفسه بقتل الشيطان المصرى ، الذى لم ينجح أحد فى هزيمته من قبل .

* * *

لو أن صاعقة انقضّت على رءوس العمالقة الأربعة فى تلك اللحظة ما كان وقعها أشد مما حدث ، فلقد تحركت قبضتا (أدهم) فى آن واحد ، لتسحق إحداهما وجه أقرب الرجال إليه ، وتغوص الثانية فى معدة الآخر ، ثم قفز برشاقة مذهلة عبر مقدمة السيارة ، لتطيح قدماه بمسدس الرجلين الآخرين ، ثم استقر على الأرض ، لتدفع قبضتاه مرة ثانية ، ويتحطم وجها الرجلين ..

استغرقت المعركة بأسرها نصف دقيقة فقط ، حتى أن أحد السائرين فى الطريق لم تسنح له الفرصة ليفعل شيئا ؛ بل تسمّر معظمهم دهشة ، على حين ارتفعت بضع صرخات متفرقة من حناجر النساء ، قطعها صوت



لو أن صاعقة انقضّت على رءوس العمالقة الأربعة فى تلك اللحظة ما كان وقعها أشد مما حدث ..

سيارة شرطة ، توقفت بصورة حادّة أمام باب المستشفى ، وأسرع من داخلها رجل يرتدى الملابس المدنية صوّب مسدسه إلى (أدهم) وهو يصيح :

ــ توقف أيها الرجل .. سأطلق النار عند أول حركة مريبة .

ابتسم (أدهم) بتهكم ، وقال وهو يرفع ذراعيه فوق رأسه :

ــ يا إلهى !! إنكم تستحقون جائزة نوبل بجدارة فى هذا البلد يا رجال الشرطة ، فلم أر أسرع منكم استجابة من قبل .

أشار الرجل إلى رجاله بتفتيش (أدهم) ، والتأكد من عدم حمله لأيّة أسلحة ، ثم ألقى نظرة مندهشة على الرجال المتناثرين فوق الطريق ، وقد سالت من وجوههم الدماء ، وقال :

ــ هل لك أن تفسر لى ذلك أيها الرجل ؟

هزّ (أدهم) كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

ــ تستطيع أن تسميه دفاعا شرعيا عن النفس أيها المفتش (ألفريد) .

ضاقت حدقتا الرجل وهو يحدّق فى وجه (أدهم) ، الذى سقط شاربه المستعار فى أثناء القتال ، ثم سأله بدهشة :

ــ ألست شقيق الدكتور (صبرى) ؟.. لقد تقابلنا منذ أقل من ساعة عندما أبلغتم عن ذلك الهجوم العجيب الذى دمَّر فيلته .. ماذا فعلت بملامحك بحق السماء ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ــ الأمر يطول شرحه أيها المفتش ، وربّما ناقشناه معًا فى غرفة الدكتور (صبرى) .

نظر إليه المفتش (ألفريد) بدهشة أعظم ، وقال :

ــ فى غرفة الدكتور (صبرى) ؟.. هل تعنى أنك لا تعلم بما حدث ؟

قطّب (أدهم) حاجبيه ، وسأل المفتش بقلق :

ـ ماذا حدث يا سيادة المفتش ؟

قلب المفتش كفيه بحيرة ، وقال :

ـ لقد ظننت عندما تعرفتك أن هؤلاء الرجال هم المختطفون .. وأنك قد حاولت إنقاذ شقيقك .

قفز (أدهم) نحو المفتش ، وأمسك بذراعه وهو يسأله بحدة :

ـ المختطفون ؟.. ماذا تعنى أيها المفتش ؟

ملأت الحيرة صوت المفتش (ألفريد) وهو يقول :

ـ يا إلهى !! إذن فأنت لا تعلم بالفعل .. لقد اختطف شقيقك أيها الرجل .. اختطفه ثلاثة رجال مسلحين بالقوة منذ خمس دقائق تقريبا .. وما حضرت مسرعا إلا لهذا السبب .

* * *

٥ ـ صفقة الموت ..

ما أن وقع بصر (منى) على وجه (أدهم) وهو يدخل إلى غرفة الدكتور (أحمد صبرى) بصحبة المفتش (ألفريد) حتى خفضت وجهها أرضا ، وقالت بصوت أقرب إلى البكاء :

ـ لقد حاولت القيام بواجبى يا سيدى .. صدقنى لقد حاولت .. ولكنهم باغتونا بأسلحتهم ، ولقد حاول الدكتور (أحمد) مقاومتهم ، ولكنهم تغلبوا عليه ، ولكمنى أحدهم بوحشية أفقدتنى الوعى .

نظر (أدهم) إلى عينى (منى) المتورمة ، وربّت على كتفها برقة وهو يقول :

ـ لا عليك يا عزيزتى .. أقسم إننى سأجعلهم يندمون على فعلتهم الدنيئة هذه .

تدخل المفتش (ألفريد) قائلا :

ـ يؤسفنى قطع حديثكما الذى لا أفهم من لغته كلمة واحدة ، ولكن هناك العديد من النقاط التى تحتاج إلى تفسير مقنع أيها السيدان .. أولا : لماذا ترتدى هذه الفتاة زى التمريض داخل مستشفى لا تنتمى إليه ؟.. ثانيا : ما الذى دفعك إلى محاولة تغيير ملامحك بهذا الشكل ؟.. ثالثا : ما سر هذه الأحداث العدوانية التى تتوالى منذ وصولكما إلى (ستوكهولم) ؟.. رابعا : لماذا يُقدِم البعض على اختطاف طبيب مسالم مثل الدكتور (أحمد صبرى) ؟

قال (أدهم) ببرود دون أن يدير رأسه ناحية المفتش :

ـ هذه الفتاة ترتدى زى التمريض ؛ لأن الدكتور (صبرى) كان يدربها على ذلك أيها المفتش .. أما عن ملامحى فلم يتغير فيها سوى تلك الخصلة البيضاء ، لقد صنعتها تماشيا مع الموضة الجديدة .. وبخصوص السؤالين الأخيرين فأنا أنتظر إجابتهما منك ، فهذا ليس عملى .

صمت المفتش لحظة ، ثم ابتسم بمكر ، وسأل (أدهم) :

ـ إجابة ذكية يا مستر (أدهم) .. هل لك أن تخبرنى ما عملك بالضبط ؟

أجابه (أدهم) بنفس البرود :

ـ إنه مدوّن فى جواز سفرى أيها المفتش .. وأعتقد أنه رجل أعمال مصرى .

قال المفتش :

ـ هذا صحيح يا مستر (أدهم) ، ولكننى سأطلب منك عدم مغادرة (ستوكهولم) قبل أن ينتهى التحقيق فى هذا الشأن ، وسأعمل على اتخاذ الإجراءات الضامنة لذلك ، وأرجو ألا تجبرنى على ....

قاطعه (أدهم) ببرود قائلا :

ـ اطمئن أيها المفتش لن أغادر (ستوكهولم) قبل ذلك الحين .

ثم أردف وهو يبتسم بسخرية :

— وأعتقد أن فى ذلك ما يرضى جميع الأطراف .

* * *

صدرت صحف الصباح فى (ستوكهولم) ، وقد تصدّر صفحاتها خبر اختطاف الدكتور (أحمد صبرى) المرشح لنيل جائزة نوبل فى الطب والعلوم ، وأثار الخبر الكثير من الدهشة والجدل ، فى كثير من المجتمعات وانقسم الناس إلى عدة فرق .. فريق ينسب ذلك إلى أغراض سياسية نظرا لجنسية الدكتور (أحمد) .. وفريق آخر يعزو ذلك إلى محاولة الحصول على فدية ضخمة .. وفريق ثالث يظن أن المنافسة العلمية هى الدافع وراء ذلك ، ولم يستطيع الجزم بالسبب الحقيقى سوى رجل وفتاة جلسا فى ردهة أحد الفنادق الضخمة المعروفة فى قلب (ستوكهولم) بهدوء لا يشير مطلقا إلى أنهما يعلمان جيدا إمكانية تعرضهما للقتل فى أية لحظة ...

كان (أدهم صبرى) يتناول كوبا من القهوة الأوروبية ، على حين جلست (منى توفيق) تطالع

إحدى الصحف باهتمام ، ثم نحّتها جانبا ، وقالت :

— هل تعتقد أنهم سيحاولون الاتصال بنا أولا يا سيدى ؟

أومأ (أدهم) برأسه إيجابا ، وقال :

— إنهم لن يلجئوا إلى قتلنا فى مثل هذا المكان الواضح المزدحم يا عزيزتى ، ولو أنهم يرغبون فى ذلك ما اختطفوا شقيقى .. إنهم يريدوننى فى مكان واضح ، يمكنهم فيه التأكد من تخلصهم منى .

ابتسمت (منى) بقلق وهى تقول :

— يبدو أنك تسبب لهم الكثير من القلق يا سيدى ، وإلّا ما بذلوا كل هذا الجهد من أجل اقتناصك .

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وقال :

— هذا الأمر يحيرنى يا (منى) .. صحيح أننى قد تسببت فى إيداع دونا (ماريا) السجن فى إسبانيا ، وأننى هزمت دون (مايكل) زعيم (المافيا) فى عقر

داره ، ولكن ذلك لا يستدعى مثل هذه الحرب الشعواء .. فليس من المنطقى أن تخاطر دونا (ماريا) بكشف شخصيتها بعد نجاح فرارها من السجن ، من أجل التخلص منى أو الانتقام الشخصى .. إلّا إذا ...

وتوقف عن الكلام مما دفع (منى) إلى أن تستحثه قائلة :

— فيم تفكر يا سيدى ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

— إلا إذا دفعهما عقل ذكى شرير إلى ذلك .. وعندما أفكر فى الذكاء الشرير يقفز اسم بالذات إلى ذهنى .

قالت (منى) باستنكار :

— أتقصد (حاييم شيمون) ؟.. إنه قد تقاعد عن العمل فى المخابرات منذ إصابته فى المكسيك يا سيدى .

برقت عينا (أدهم) فجأة ، وارتسمت ابتسامة

ساخرة على شفتيه ، وهو ينظر إلى مكان يقع خلف (منى) تماما ، حيث مدخل الفندق ، ويقول متهكما :

— ليتنا تمنّينا مليونا من الجنيهات يا عزيزتى .

استدارت (منى) بدهشة إلى حيث ينظر (أدهم) ، وفوجئت بـ (حاييم) يتقدم نحوهما وهو يدفع بساعديه مقعده المتحرك ، وقد غطّى ساقيه بمعطف قديم ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة كريهة تجمع بين النصر والشماتة .

* * *

بدأ (حاييم) حديثه بأن تنحنح بشكل تمثيلى ، وكأنه ممثل محترف يهم بإلقاء دوره على خشبة المسرح ، ثم قال بمكر :

— أظنك تعلم جيدا السبب الذى دفعنى لمقابلتك يا مستر (أدهم) .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

— دعنى أخمن .. هل تفكر فى دعوتنا لمشاهدة مسرحية جديدة ؟



بدأ (حايم) حديثه بأن تنحنح بشكل تمثيلى ، وكأنه ممثل محترف ..

تجاهل (حايم) عبارة (أدهم) الساخرة ، وقال :

ــ يؤسفنى ما قرأته هذا الصباح بشأن اختطاف شقيقك يا مستر (أدهم) .

استمر (أدهم) فى سخريته قائلا :

ــ أشكر لك مشاعرك الرقيقة يا مستر (حايم) ، برغم أنها لا تتفق مع طبيعتك .

امتقع وجه (حايم) ، وازدرد ريقه قبل أن يقول :

ــ اسمع يا مستر (أدهم) ، ليس لدىّ وقت لأسلوبك الساخر السخيف .. لقد جئت لأبلغك رسالة محدودة من ...

قاطعه (أدهم) قائلا ببرود :

ــ متى وأين تطلبون تواجدى بمفردى أيها الفأرُ العجوز ؟

حدّق (حايم) فى وجهه بشماتة ، وقال :

ــ سأحدد لك ذلك فيما بعد يا مستر (أدهم) .

ضحك (أدهم) بتهكم ، وقال :

ــ ولماذا أتيت إذن يا مستر (حايم) ؟ ألم يكن من الأفضل أن ترسل لى خطابًا مضمونًا ؟.. أم أنك قد أتيت لجس نبض الخصم فقط ؟

أشار (حايم) بسبابته وهو يقول بغضب :

ــ أعتقد أنه من الأفضل لمصلحة أخيك أن تتحدث إلىّ ببعض التهذيب يا مستر (أدهم) .

قال (أدهم) ببرود :

ــ أما أنا فأعتقد أنك لن تجازف بقتل شقيقى لمجرد أننى قد أسأت إليك أيها العجوز الأجرب ، فأنتم تسعون للنيل منى شخصيا ، وأخى هو سلاحكم الوحيد ، الذى لن تتخلوا عنه دون فائدة أبدا .

ابتسم (حايم) بخبث ، وقال :

ــ هذا صحيح يا مستر (أدهم) ، ونحن نعلم جيدا أنك مستعد للتضحية بحياتك من أجل إنقاذ شقيقك ، وهذا ما سنساعدك على فعله بالضبط .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال بسخرية :

ــ لا أعتقد أنكم ستطلبون منى الانتحار يا مستر (حايم) !

قال (حايم) بجدية :

ــ بل هو قريب من ذلك يا مستر (أدهم) .. إننا سنطلب منك ألا تقاومنا عندما نبادر بقتلك .

تكلمت (منى) لأول مرة منذ جالسهم (حايم) ، فقالت بغيظ :

ــ هذا مستحيل أيها العجوز .

أشار لها (أدهم) بيده أن تصمت ، ثم سأل (حايم) :

ــ وما الذى يضمن لى إطلاق سراح أخى سالما ؟

أجابه (حايم) :

ــ سنضمن لك ذلك قبل أن نقتلك يا مستر (أدهم) ، ولك أن تختار الضمانات الكافية .

صمت (أدهم) لحظة مفكرا ، ثم قال :

ــ ما رأيك لو أننى ألقيت القبض عليك ،

وساومت بك مقابل شقيقى ؟

ضحك (حايم) ، وقال :

ـــ لن يلتفت أحد إلى تهديدك ، فمن يهتم بحياة عجوز مثلى ، لم يعد ينتمى لأية هيئة باستثناء أرباب المعاشات بالطبع ؟.. هل تظن أن اختيارى لمقابلتك تم عبثا ؟

ضحك (أدهم) بسخرية ، وقال :

ـــ إننى لا أشك فى دهائك أيها الفأر العجوز .. حسنا .. متى يتم ذلك ؟

تراجع (حايم) بمقعده إلى الخلف وهو يقول بابتسامته الكريهة :

ـــ سأخبرك فيما بعد يا مستر (أدهم) .. احذر من تعقب خطواتى ، فهناك من يراقبك سرًا ، وسيُقتل أخوك فى الحال إذا ما حاولت ذلك .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ـــ اطمئن يا مستر (حايم) .. إننى لن أفعل ذلك .

قالت (منى) بحنق وهى تشاهد (حايم) وهو يغادر الفندق :

ـــ هل ستتركه يذهب هكذا يا سيدى ؟

قال (أدهم) ببساطة :

ـــ دعه يذهب يا عزيزتى ، فهذا الفأر العجوز لم يعد يساوى شيئا .

تمتمت (منى) بضيق :

ـــ ربما أصبح كذلك ، ولكن هناك عصابة ضخمة تختبئ خلفه يا سيدى .

ضحك (أدهم) بسخرية ، وقال :

ـــ هذه الأمور لا تقاس بالضخامة يا عزيزتى ، وتذكرى دائما أن الفيل هو أضخم الحيوانات حجما ، ولكن الأسد هو ملك الغابة بلا منازع .

* * *

٦ ـــ خطوات المعركة ..

شعرت (منى) بحنق شديد وهى تتابع ببصرها (أدهم) الذى أخذ يداعب هرة صغيرة تمسحت فى ساقه وهى تموء بصوت خافت ، وهو يبتسم برقة دون أن يبدو على ملامحه أى أثر للقلق على أخيه المختطف ، ولم تستطع الصمت طويلا ، فقالت بضيق :

ـــ معذرة يا سيدى ولكن .. ولكنك تبدو غير مبال بالموقف الخطير الذى يواجه شقيقك .

ابتسم (أدهم) بهدوء ، وقال :

ـــ دعى عنك هذا القلق يا عزيزتى ، فلن نجنى من ورائه شيئا .

قالت (منى) بحنق :

ـــ كان يمكننى الاقتناع بهذا المنطق ، لو أننا نفعل

شيئا من أجل إنقاذه .. ولكنك تضيع وقتك فى مداعبة هرّة .

ضحك (أدهم) وهو يقول :

ـــ اطمئنى أيتها النقيب الحديث .. لقد ارتكبت عصابة الزعماء هذه أكبر غلطة فى حياتها العملية باختطافها لشقيقى ، وسيندمون على هذه الخطة قريبا .

حدّقت (منى) فى وجهه بغيظ ، وقالت :

ـــ وما الذى سيدفعهم لهذا الندم ؟.. أهو جلوسك هنا ومداعبتك للهرة ؟.. إنك لم تحاول حتى تعقب (حايم) .. لقد كنت أتميز غيظا وهو يغادرنا شامتا .

وفى تلك اللحظة اصطدم رجل مسرع بالمقعد الذى يجلس عليه (أدهم) ، واعتذر بارتباك ، وانحنى (أدهم) يساعده فى جمع بعض الأوراق ، التى سقطت من يده على أرض البهو ، ثم اعتدل وغادرهما الرجل بعد أن كرر اعتذاره ، وبهدوء قال (أدهم) وهو يبتسم بسخرية :

ـــ ها قد توصلنا إلى المكان الذى يقيم فيه صديقنا (حايم) يا عزيزتى ، وأعتقد أنه من الأفضل أن نصعد إلى غرفتى أو غرفتك لنلم بباق المعلومات التى وردت إلينا .

تفجرت الدهشة فى عينى (منى) وهى تسأله :

ـــ ماذا تعنى بذلك ؟.. هل هذا الرجل الذى اصطدم بمقعدك ..؟

لم يتركها (أدهم) لتكمل عبارتها ، بل أمسك يدها ليعاونها على النهوض وهو يقول ببساطة :

ـــ دعينا نؤجل هذا الحوار يا عزيزتى ، فما زال أمامنا متسع من الوقت قبل أن تحين لحظة الحساب .

* * *

لم يستطع (أدهم) منع نفسه من الضحك عندما تدلت فك (منى) السفلى بذهول ، وهى تستمع إلى ما يقوله ، وأثارت ضحكته الساخرة غيظها ، فقالت :

ـــ كيف لى أن أتصور تدخل مخابراتنا بهذه

السرعة ؟.. ألم يدهشك ذلك أيضا ؟

هز (أدهم) رأسه نفيا ، وقال بابتسامة هادئة :

ـــ مطلقا يا عزيزتى .. لقد تسبب هؤلاء المجرمون فى ذلك باختطافهم أخى العزيز ، فلقد تحول الأمر عند هذه النقطة من مهمة شخصية إلى مهمة قومية ، تهم المخابرات المصرية .. هل نسيت أن (أحمد) عالم مصرى ، مرشح لنيل جائزة نوبل .. وأن المخابرات المصرية لن تسمح لهؤلاء الأوغاد بالإساءة إلى عالم مثله ، يعد فخرا لمصر ؟

ابتسمت (منى) بسعادة ، وقالت :

ـــ إذن فنحن فى مهمة رسمية منذ هذه اللحظة .. هذا جميل .. إن ذلك يقلب موازين الأمور تماما .

نظر (أدهم) فى ساعته ، وقال :

ـــ هذا صحيح أيتها النقيب .. فلم يكن هؤلاء المجرمون يتوقعون أن أحصل على أية مساعدة فى هذا الوقت القصير ، وكنت أتوقع كما تعلمين محاولتهم

للاتصال بى ؛ ولهذا فقد غادرنا (حايم) مطمئنا إلى أننا لن نتبعه ، ولم يتصور مطلقا أن أحد الزملاء قد تبعه ، وتوصل إلى الفيلا التى يقيم بها ، والأطرف أنه قد شاهد صديقتنا القديمة دونا (ماريا) وهى تغادر الفيلا فى سيارة بيضاء فارهة ، بعد أن صبغت شعرها باللون الأشقر .. ولقد حصل زميلنا على رقم السيارة ومن السهل بعد ذلك التوصل إلى صاحبتها ومحل إقامتها .. إن المعركة الحقة ستبدأ منذ هذه اللحظة يا عزيزتى .

وما أن انتهى (أدهم) من حديثه حتى قرع أحدهم باب غرفته ثلاث قرعات متتالية سريعة ، فابتسم وقال بمرح وهو يتجه نحو الباب :

ـــ أقترح أن تسارعى بطلب وجبة ساخنة دسمة يا عزيزتى ، فضيفنا الذى يدق الباب ليس من النوع الذى يحتمل الشعور بالجوع .

وما أن فتح الباب حتى ابتسمت (منى) على

الرغم منها ، وضحك (أدهم) وهو يقول :

ـــ مرحبا يا صديقى (قدرى) .. كم تسعدنى رؤيتك .

قهقه (قدرى) ضاحكا ، واهتز بدنه الضخم وهو يصافح (أدهم) قائلا :

ـــ أما أنا فإن رؤيتك تقلقنى يا (أدهم) ، فهى ترتبط دائما بالمتاعب .

تنحى (أدهم) ليسمح له بالدخول ، وبدت الحقيبة الصغيرة التى يحملها عجيبة بجوار جسده الضخم البدين ، وهو يصافح (منى) بيده المكتنزة قائلا :

ـــ كيف حالك يا عزيزتى ؟.. أما زلت تجدين العمل مع هذا الشيطان ممتعا ؟

ولم ينتظر إجابتها بل ناول الحقيبة لـ (أدهم) ، وهو يلقى بجسده على مقعد وثير قائلا :

ـــ ها هى ذى حقيبة الحاوى يا صديقى .. ستجد

بها كل أدوات التنكر التى تحتاج إليها ، بالإضافة إلى مسدس أنيق أُدخلت عليه بعض التعديلات الفنية فى المكتب رقم (عشرة) وجوازَىْ سفر من باب الاحتياط ..

انهمك (أدهم) فى فحص محتويات الحقيبة ، على حين التفت (قدرى) إلى (منى) ، وسألها باهتمام :

ــ ترى هل يعد هذا الفندق وجبات شهية يا عزيزتى ؟

* * *

كانت المنضدة الموضوعة على المكتب أمام المفتش (ألفريد) قد امتلأت عن آخرها بأعقاب السجائر عندما دخل أحد رجاله إلى مكتبه ، وتنحنح قبل أن يقول :

ــ معذرة أيها الرئيس .. هناك رجل يطلب مقابلتك يدعى (أدهم صبرى) .

أشاح المفتش (ألفريد) بيده قائلا :

ــ دعه يدخل .. كنت أهم بطلبه لتوّى .

زوَى المفتش (ألفريد) ما بين حاجبيه بغضب عندما وقع بصره على الرجل الأشقر الشعر ، الأزرق العينين ، صاحب الأنف الضخم ، الذى ولج إلى داخل غرفته ، وقال :

ــ ما معنى هذا الزيف أيها الرجل ؟.. لماذا انتحلت شخصية السيد (أدهم صبرى) ؟

قال الرجل الأشقر بهدوء وهو يجلس على المقعد الخشبى الموضوع بغير نظام أمام المكتب :

ــ ليس هناك أى زيف على الإطلاق يا سيدى المفتش .. إننى بالفعل (أدهم صبرى) .

اشتد غضب المفتش وهو يقول هادرا :

ــ ألديك الجرأة على مواصلة الخداع ؟.. إننى أعرف مستر (صبرى) جيدا أيها المحتال ، وأنت لا تشبهه على الإطلاق .

قال الأشقر بنفاد صبر :

ــ مهلا أيها المفتش (ألفريد) .. لا تدع تنكرى البسيط يخدعك ، فالأمر لا يعدو مجرد باروكة شعر شقراء ، وزوج من العدسات اللاصقة الزرقاء اللون ، وأنف صناعى من المطاط الذى يشبه لون بشرتى تماما .. ثم .. ألم تميز صوتى جيدا ؟

صمت المفتش (ألفريد) لحظة حدّق خلالها فى وجه (أدهم) بدهشة ، ثم صاح :

ــ لماذا تفعل ذلك بالله عليك يا مستر (صبرى) ؟.. هل تظن أن بلادنا مجرد حفل تنكرى كبير ؟

أجاب (أدهم) بهدوء :

ــ لدىّ من الأسباب ما يدفعنى إلى ذلك يا سيادة المفتش ، ثم إن هذا غير ممنوع قانونا .. والآن استمع إلىّ جيدا فقد جئتك بصيد ثمين قد يدفع برؤسائك دفعا إلى ترقيتك بسرعة .

تنبهت حواس المفتش (ألفريد) ، ولانت عريكته

فور سماع هذه العبارة ، ثم أشعل سيجارة جديدة بعصبية واضحة وهو يقول :

ــ ماذا عندك يا مستر (صبرى) ؟.. هل توصلت إلى معرفة مكان شقيقك أو شخصية مختطفيه ؟

هز (أدهم) كتفيه ، وقال :

ــ ليس بعد أيها المفتش ، ولكننى توصلت بطريق المصادفة طبعا إلى مكان اختفاء مجرمة يبحث عنها البوليس الدولى فى جميع أنحاء العالم .. ولقد قررت إهداء هذا الكشف إليك .

صمت المفتش لحظة مفكرا ، ثم فتح أحد أدراج مكتبه ، وتناول منه ملفا ضخما ، بدأ يقلب صفحاته باهتمام وهو يقول :

ــ مجرمة ؟.. لست أذكر سوى واحدة فقط ، وصلتنا صورتها من إسبانيا منذ شهر تقريبا .. أعتقد أنها تدعى ....



تنبهت حواس المفتش (ألفريد) ، ولانت عريكته فور سماع هذه العبارة ، ثم أشعل سيجارة جديدة ــ

أسرع (أدهم) يقول بلهجة إغرائية :

ــ إنها تدعى دونا (ماريا) يا سيادة المفتش .

تسمّرت يد المفتش لحظة وهو يحدّق فى وجه (أدهم) بذهول قبل أن يميل بصدره فوق المكتب ، ويشير بسبابته نحو وجه (أدهم) قائلا :

ــ لا تقل لى يا مستر (أدهم) : إنك قد وقعت على دونا (ماريا) الشهيرة !

قال (أدهم) بهدوء غير مبال بنظرات الشك فى عينى المفتش :

ــ إنها تقيم فى الحى الأمريكى ، ولقد تحول شعرها إلى اللون الأشقر ، وتنتحل اسم (صوفيا مارلو) ، وتقطن الفيلا رقم (١٧) ، ولديها سيارة بيضاء فارهة ، يقودها سائق ضخم الجثة ، يدعى (خنتوس) ، وهو يحمل فى معطفه دائما مسدسا من نوع الكولت ، مزوذا بثمانى رصاصات من عيار تسعة المليمترات ، وأعتقد أن الأفيال الخمسة الذين ألقيت القبض عليهم أمام

المستشفى سيمكنهم تعرفها بسهولة ، لو أنك عاملتهم بالشكل المطلوب .

سقطت السيجارة المشتعلة من فم المفتش وهو يستمع إلى (أدهم) ، فأسرع يلتقطها قبل أن تتلف بعض الأوراق المتناثرة بإهمال فوق المكتب ، ثم سحب منها نفسا قويا ، ونفثه فى الهواء بقوة ، وظل يضرب على سطح المكتب بأصابعه لأكثر من دقيقة قبل أن يقول :

ــ ما عملك بالضبط يا مستر (صبرى) ؟

ابتسم (أدهم) وأجاب بهدوء وهو يتجه نحو باب الغرفة فى طريقه للانصراف :

ــ لقد سبق أن أخبرتك أيها المفتش .. أنا رجل أعمال مصرى بسيط .

* * *

٧ ــ أنياب الأفعى ..

لوّح دون (مايكل) بسبابته أمام وجه (حاييم) وهو يقول بعصبية :

ــ أنت المسئول عن كل هذا التخبط أيها العجوز بحقدك الأعمى ، وشراستك المقيتة .

حاول (حاييم) الابتسام بصعوبة وهو يقول :

ــ أى تخبط يا (دون) ؟.. ألسنا فى موقف المنتصر حتى الآن ؟

صاح دون (مايكل) بحدة وقد تزايدت عصبيته :

ــ هذا ما تحاول أن توحى به إلينا أيها العجوز .. هل لك أن تخبرنى بحق الجحيم لماذا جمعت بينى وبين دونا (ماريا) فى مؤامرتك هذه ؟.. ألم يكن أحدنا يكفى أيها الرجل ؟

ازدرد (حايم) ريقه وهو يقول :

ــ تذكر يا (دون) أن إنجلترا وحدها ما كانت لتنجح فى هزيمة (ألمانيا) لولا تحالفها مع الدول الأخرى فى الحرب العالمية الثانية .

ضرب دون (مايكل) الحائط بقبضته بقوة حتى لقد ظن (حايم) أنها قد تحطمت .. ثم قال :

ــ دعك من دروس التاريخ السخيفة هذه أيها العجوز .. سأخبرك أنا بالسبب الحقيقى لذلك .. لقد خشيت أنت ألا يستجيب أحدنا لندائك ، فقررت الاستعانة بكلينا حتى تضمن واحدا على الأقل .. أليس كذلك ؟

شحب وجه (حايم) ، وقال محاولا الهروب من تلك المناقشة :

ــ اهدأ يا (دون) .. لقد أصبحنا قاب قوسين أو أدنى من النصر ، ومن الخطأ أن ينشب بيننا الخلاف الآن .

ضحك دون (مايكل) بمرارة وسخرية وهو يقول :

ــ أتحاول خداعنا أم أنك تخدع نفسك أيها العجوز ؟. لقد كنا كذلك بالفعل قبل أن نختطف هذا العالم المصرى .. أما الآن فلا أظن السلطات المصرية ستقف ساكنة إزاء هذا الموقف .

أسرع (حايم) يقول :

ــ ولكنها كانت فكرتك أنت يا (دون) .. لست أنا الذى قرر اختطاف الدكتور (أحمد صبرى) .

صمت دون (مايكل) وهو يهز رأسه بعصبية قبل أن يقول حانقا :

ــ أنت المسئول عن هذا الارتباك أيها العجوز .. لقد خلقت منافسة خفية بينى وبين دونا (ماريا) ، ففقد كل منا قدرته على التفكير المنظم السليم .. وها قد خسرت دونا خمسة من رجالها ، وأصيب بعض رجالى بحروق خطيرة .. كل هذا وأنا بعيد عن موطنى .. بعيد عن قوتى وسلطانى .. وكل ذلك من أجل القضاء على

رجل واحد .. يا للعار !! فلتذهب إلى الجحيم يا سنيور (حايم) .. فلتذهبوا جميعا إلى الجحيم .

* * *

هبطت دونا (ماريا) من سيارتها البيضاء الفارهة فى نفس اللحظة التى توقفت فيها سيارة الشرطة أمام فيلتها الفاخرة بالحى الأمريكى ، فأشعلت سيجارتها بقلق وهى تتابع ببصرها المفتش (ألفريد) الذى تقدم نحوها بخطوات مرتبكة ، قبل أن يحييها بأسلوب مهذب ، ويقول :

ــ المفتش (ألفريد) من الشرطة السويدية يا سيدتى .. وأعتقد إذا لم يخطئنى الحدس أننى أمام (صوفيا مارلو) .

أومأت (دونا) برأسها إيجابا ، وقالت وهى تنفث دخان سيجارتها بعصبية :

ــ هل هناك من خدمة أستطيع تقديمها لك أيها المفتش ؟

دار المفتش ببصره ، يتأمل العمالقة الأربعة ، الذين يحيطون بالسيارة ، وقد ظهر التحفز على قسماتهم ، ثم توقف لحظة فوق هذا الانتفاخ الواضح خلف معطف (ختوس) ، وحمد الله أنه قد أحضر بعض رجال الشرطة المسلحين بصحبته ، برغم شكه فيما أدلى إليه به (أدهم) ، وعاد ينظر فى عينى دونا (ماريا) الساحرتين قبل أن يقول :

ــ كل ما أرجوه هو أن تتكرمى بالموافقة على مصاحبتى إلى قسم الشرطة للحصول على بصماتك يا سيدتى .

سيطرت (دونا) على أعصابها بشكل يستحق الإعجاب ، على حين ظهر التوتر على وجوه رجالها وهى تقول بهدوء :

ــ بكل سرور أيها المفتش ، ولكننى مرتبطة ببعض الأمور الهامة فى الوقت الحاضر ، ربما فى الصباح الباكر .

قاطعها المفتش (ألفريد) قائلا بحزم دون أن ينتبه إلى كلماتها :

ـــ الأمر لا يحتمل التأجيل يا (دونا) .. أقصد يا سيدتى .

كان هذا الخطأ كافيا فى نظر رجال (دونا) ، ولقد تنبه إليه المفتش (ألفريد) فى اللحظة المناسبة ليلكم (ختنوس) بكل قوته ، ثم يعدو عبر الشارع ، ويقفز مستترا بسيارة الشرطة التى انهال عليها رصاص رجال دونا (ماريا) ، وبادلهم رجال الشرطة إطلاق النار ، على حين أسرعت هى نحو الفيلا بجرأة ، وقفزت خلف عجلة قيادة سيارة رياضية حمراء ، ثم انطلقت بها وسط الرصاص المنهمر من الطرفين بمهارة مدهشة ، وقد أطلقت لسرعتها العنان ..

صاح المفتش (ألفريد) بغيظ وهو يتابع السيارة ببصره ، عاجزا عن اللحاق بها بسبب تراشق النيران المتبادل :

ـــ يا إلهى !! لقد كان مستر (أدهم) على حق .. وها هى ذى الطريدة تفر أمام أعيننا .

* * *

ابتسم أحد رجال دون (مايكل) الستة ، الذين ينتشرون فى حديقة الفيلا الأنيقة ، التى يقيم فيها زعيمهم ، بصحبة (حاييم شيمون) عندما وقع بصره على الشاب الأحمر الشعر ، صاحب اللحية الكثة ، الذى يتحدث بهيام شديد إلى الشقراء ، التى تتأبط ذراعه ، وهما يسيران بخطوات متمهلة أمام سور الفيلا ، ولم يتصور الرجل مطلقا أن هذه الابتسامة التى تملأ وجه الشاب كانت تختلف تماما عن الحديث الذى يدور على لسانه ؛ إذ كان يهمس فى أذن رفيقته الشقراء قائلا :

ـــ هذه هى أرض المعركة أيتها النقيب .. ستة رجال يحرسون المكان بالإضافة إلى كلبين ضخمين من نوع (الدوبرمان) ، ومن الواضح أن أنيابهما لن ترحم الدخلاء .

أجابته الشقراء بهدوء ، ولم تكن سوى النقيب (منى توفيق) :

ـــ أعتقد أن الأمر يحتاج إلى (دستة) من الرجال

لاقتحام الفيلا دون أن يصاب الدكتور (أحمد) يا سيدى .

ابتسم (أدهم) المتنكر فى هيئة الشاب الأحمر الشعر ، وقال بسخرية :

ـــ أستطيع القيام بدور عشرة رجال يا عزيزتى .. ترى هل يمكنك القيام بعمل رجلين ؟

قالت (منى) بهدوء :

ـــ مُرنى بما تراه مناسبا ، وسأقوم بعملى على أكمل وجه يا سيدى .. فأنا مستعدة للتضحية بحياتى لو أن ذلك يضمن نجاة شقيقك .

ربَّت (أدهم) على كتفها بحنان ورقة أثارا دهشتها ، وهو يقول بلهجة عاطفية لم تألفها منه من قبل :

ـــ إن حياتك تهمنى بالقدر نفسه يا عزيزتى .

وفى نفس اللحظة ، وقبل أن تبدى (منى) دهشتها من حديث (أدهم) الرقيق ، توقفت سيارة حمراء من الطراز الرياضى أمام الفيلا بحدة ، وقفزت منها دونا

(ماريا) ، على حين أسرع أحد الرجال الستة ، يفتح لها البوابة الحديدية القصيرة ، لتندفع بادية الغضب نحو باب الفيلا ، وتطرقه بعصبية واضحة ..

ـــ قال (أدهم) وهو يشد على يد (منى) ، وقد ظهر القلق واضحا لأول مرة فى نبراته :

ـــ يبدو أن صديقنا المفتش (ألفريد) لم يحسن التصرف هذه المرة يا عزيزتى ، فها قد أفلتت الأفعى الحسناء وهذا يبدل خططنا تماما .. سنقتحم الفيلا فى الحال دون انتظار رفاقنا .

* * *



٨ ــ لهيب الحرب ..

فوجئ (حاييم) ودون (مايكل) بدونا (ماريا) وهى تدخل الفيلا بعصبية وغضب ، وتشير إلى (حاييم) صائحة :

ــ أنت المتسبب فيما حدث أيها العجوز القذر .. لن تفلت منى أبدا .

تراجع (حاييم) بمقعده المتحرك فى ذعر ، واتسعت عينا دون (مايكل) دهشة عندما أخرجت (دونا) من معطفها مسدسًا صغيرا صوّبته بيد أرعدها الغضب نحو (حاييم) الذى صاح برعب :

ــ ماذا ؟.. ماذا حدث يا (دونا) ؟.. و .. إننى لم أفعل ما يستحق ذلك !

قالت دونا (ماريا) بغضب شديد :

ــ لم يكن أحد ليتصور مطلقا أن (صوفيا مارلو)

الأرملة الثرية هى بعينها دونا (ماريا) الهاربة أيها العجوز .. كنت أستطيع أن أحيا حتى تقتلنى الشيخوخة فى هذه المدينة الهادئة ، أنعم بالملايين التى جمعتها من تهريب الماس .. لولا رغبتك الشديدة فى الانتقام من ذلك الشيطان المصرى .. والتى ألقت بنا فى حرب لن يفيد منها سواك .

احتبست الكلمات فى حلق (حاييم) ، وجحظت عيناه رعبا عندما سحبت دونا (ماريا) إبرة مسدسها ، فقال دون (مايكل) بتوتر محاولا منعها :

ــ أرجعى هذا المسدس إلى معطفك يا (دونا) .. إنك لن تطلقى النار على عجوز مقعد .

ضحكت دونا (ماريا) ، وقالت بسخرية :

ــ هل تظن ذلك يا (دون) ؟.. حقا ؟

وبهدوء شديد ضغطت أصابعها الرقيقة على الزناد ، واختلط صوت الرصاصة القاتلة بصيحة الموت الفزعة ، التى انطلقت من حنجرة (حاييم) ، على حين تردّد فى



احتبست الكلمات فى حلق (حاييم) ، وجحظت عيناه رعبًا عندما سحبت دونا (ماريا) إبرة مسدسها .

الغرفة صدى ضحكة دونا (ماريا) الرقيقة .

* * *

انطلقت سيارة صفراء قوية فى الشارع الذى توجد به الفيلا ، ثم انحرفت فجأة فى نفس اللحظة التى أطلقت فيها دونا (ماريا) الرصاص على (حاييم) ، واتسعت عيون الحراس الستة ذهولا عندما اخترقت السيارة بوابة الفيلا بشكل انتحارى ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها قائدها رصاصة أصابت مسدس أحدهم ، ثم قفز من السيارة ، وأطلق رصاصة أخرى ، هشمت يد الثانى ، وقفزت فتاة شقراء من الباب الأيمن للسيارة ، وأطلقت رصاصها على اثنين من الحراس ، فأردت أحدهما قتيلا ، وهشمت كتف الآخر .

كان (أدهم) وزميلته (منى) قد أذهل أسلوبهما الانتحارى الحارسين الباقيين .. وقبل أن يطلق أحدهما النار أطاح رصاص (منى) بمسدس الأول ، على حين اندفع (أدهم) نحو باب الفيلا ، وأصابت رصاصة

الأرض بين قدميه وهو يقفز فوق الدرجات الأربع التى تعلو الباب ، ثم شعر بعمود من النار يخترق ساعده الأيسر قبل أن تحطم (منى) يد الحارس السادس برصاصة أحسنت تسديدها ، ثم قفزت من خلف سيارتهما ، وصوّبت مسدسها إلى الحراس وهى تصيح بلهجة آمرة :

— سأطلق النار على أول من يتحرك منكم .

وفى نفس الوقت ألقى (أدهم) بالمسدس الذى يمسك به ، ثم انتزع من حزامه المسدس الأنيق الذى أحضره له (قدرى) ، وتراجع إلى الوراء بضع خطوات قبل أن يطلق النار على قفل الباب ، الذى انفجر بدوى شديد ، وكأن هذه الرصاصات تحمل قنابل شديدة التفجير ، وما أن قفز (أدهم) داخل ردهة الفيلا حتى أصابت رصاصة طائشة حاجز الباب ، بجواره تماما ، فغاص (أدهم) إلى أسفل ، ثم قفز إلى اليسار برشاقة مذهلة ، وأطلق إحدى رصاصاته شديدة التفجير نحو

المقعد الموضوع بجوار دون (مايكل) ، فتحطم وكأنما أصابته قنبلة .

وهنا ألقى دون (مايكل) بمسدسه أرضا ، ورفع ذراعيه فوق رأسه صائحا بفزع :

— لا تطلق النار أيها الشيطان .. أعنى لا تطلق علىّ هذه الرصاصات العجيبة .. إننى أستسلم .

لمح (أدهم) لأول مرة جثة (حاييم) ، الذى تحطمت جمجمته الهشة بفعل رصاصة مباشرة ، ولكنه قفز نحو دون (مايكل) ، وجذبه من ملابسه صائحا :

— أين أخى أيها المجرم ؟.. أين وضعتموه ؟

قال دون (مايكل) باستسلام :

— فى قبو فِلّته .. لقد وجدناه أنسب الأماكن لـ ....

وقبل أن يتم عبارته سمع (أدهم) صرخة أطلقتها (منى) مختلطة بعواء شرس ، فوجه لكمة ساحقة إلى فك دون (مايكل) أفقدته الوعى ، وقفز خارج

الفيلا ، فوجد (منى) تقاوم الكلبين الضخمين بيأس ، ورأى دونا (ماريا) تنطلق بالسيارة الرياضية الحمراء مبتعدة ...

حسم (أدهم) موقفه بسرعة ، فقد كان إنقاذ (منى) أهم فى نظره من إيقاف دونا (ماريا) ، وبسرعة أطلق مسدسه نحو أحد الكلبين ، ففجر رأسه بشكل أثار فزع الآخر ، فتراجع إلى الخلف مزمجرا ومتأهبا للقفز نحو (أدهم) ، الذى عاجله برصاصة فجّرت أمعاءه ، ثم صاح بـ (منى) وهو يعاونها على النهوض :

— أين الحراس الخمسة الباقون ؟

أشارت (منى) إلى سيارة دونا (ماريا) التى تبتعد ، وقالت :

— لقد أطلقت هذه الشيطانة الكلاب نحوى ، ثم هربت بصحبة حراسها .

أسرع (أدهم) نحو السيارة الصفراء ، وهو يقول بتوتر :

— أسرعى إذن أيتها النقيب .. لا بد أن نمنعها من الوصول إلى الفيلا ، التى احتجزوا فيها (أحمد) ، وإلّا فلن نستطيع منعهم من قتله .

قفزت (منى) فى السيارة التى انطلقت فى الحال بأقصى سرعة يسمح بها محركها فى محاولة للحاق بدونا (ماريا) ورجالها ، ولاحظت لأول مرة أن ذراع (أدهم) اليسرى تنزف بغزارة ، فصاحت به :

— لقد أصبت يا سيدى .. إن ساعدك ينزف بشكل بشع .

لم يهتم (أدهم) لقولها ، بل زاد من ضغط قدمه على بدال البنزين ، وتعلقت عيناه بالسيارة التى يطاردها بشراسة ، فلقد أصبحت هذه السيارة الحمراء تمثل فى نظره حياة شقيقه الوحيد .

* * *

انقلب جوّ (ستوكهولم) الهادئ إلى حرب ملتهبة فى ذلك اليوم ، وشهد سكانها من الأهوال ما لم تره أعينهم

حتى فى أيام الحرب الأخيرة ، بدءا من المعركة الدموية التى دارت فى الحى الأمريكى بين رجال دونا (ماريا) ورجال المفتش (ألفريد) ، إلى القتال الشرس الذى دار فى الفيلا التى قضى فيها (حاييم شيمون) نحبه ، وحتى تلك المطاردة الشرسة التى دارت بين سيارة حمراء رياضية ، وأخرى صفراء تهشمت مقدمتها بشكل واضح ، وتنفس السكان الصعداء عندما اندفعت المطاردة إلى منطقة الحدائق خارج المدينة ..

أما بالنسبة لراكبى السيارتين فلقد كان الأمر يختلف تماما ؛ إذ ارتفعت شراسة المطاردة فى تلك المنطقة الخالية ، وبدأ ركاب السيارة الحمراء فى إطلاق رصاصهم على السيارة الصفراء التى ناور قائدها ببراعة منقطعة النظير ، متفاديا الطلقات التى انهمرت عليه كالمطر ، برغم أن ثلاثة من ركاب السيارة الحمراء كانوا مصابين بإصابات مؤلمة ، وبرغم أن قائد السيارة الصفراء نفسه كان مصابا برصاصة مزقت لحم

ساعده ، واستقرت بين عظامه ..

وفجأة توقفت السيارة الحمراء ، وقفز منها الحراس الخمسة ، وانطلقوا يعدون فى منحدر يصل فى نهايته إلى الفيلا ، المملوكة للدكتور (أحمد صبرى) ، على حين عاودت السيارة انطلاقها محاولة الوصول إلى الفيلا عن طريق دائرى طويل ، فصاح (أدهم) وهو يوقف سيارته بحدة :

— يا للأفعى الحقود !! لقد أرسلت رجالها عبر هذا الطريق المنحدر لتضمن نجاحهم فى قتل (أحمد) قبل أن نصل .

وقبل أن تحاول (منى) منعه قفز من السيارة وهو يقول :

— إنها تعلم أن أية سيارة لن تنجح فى هبوط هذا المنحدر الوعر ، مهما بلغت مهارة قائدها .. واصلى المطاردة أيتها النقيب ، وسأحاول منع هؤلاء الأوغاد قبل أن يصلوا إلى بغيتهم .

ثم انطلق نحو الرجال الخمسة ، وقد تحول قلقه البالغ على حياة شقيقه إلى طاقة مذهلة ، أضيفت إلى طاقاته التى جعلت منه رجل المستحيل ..

أصيب الرجال الخمسة بالفزع عندما شاهدوا ذلك الشيطان الذى يطاردهم بإصرار وقوة مذهلين ، فاستداروا يطلقون عليه النار بشراسة ، وواجههم هو برصاصاته المتفجرة التى أثارت ذعر الرجال الذين يقومون بحراسة الفيلا ، فصرخت غريزتهم الإجرامية فى الحال ، وانطلقت رصاصاتهم تحصد زملاءهم الخمسة ، فى محاولة مستميتة للقضاء على (أدهم صبرى) ..

بادلهم (أدهم) إطلاق النار بشراسة ، وقد استولى على عقله أمل واحد .. أن تنجح (منى) فى إيقاف دونا (ماريا) قبل أن تصدر أمرها الدموى بقتل الدكتور (أحمد صبرى) .

* * *

٩ — من أجلك وحدك ..

بذلت (منى) جهدا مستميتا للحاق بدونا (ماريا) ، ولكن هذه الأخيرة كانت تقود سيارتها بمهارة فائقة ، وجرأة شديدة ، كما أنها كانت تمتلك السيارة الأقوى محركا .. وكاد اليأس يتملك (منى) عندما دارت سيارة دونا (ماريا) فى المنحنى الأخير قبل الفيلا ، ولكنها تذكرت فى لحظة واحدة كل المرات التى خاطر فيها (أدهم) بحياته من أجلها ، وتذكرت تعلقه الشديد بشقيقه ، وقوة العلاقة التى تجمع بينهما .. تذكرت عبارة (أدهم) التى ألقاها على مسامعها بشكل عاطفى فى آخر حوار بينهما قبل اقتحامهما للفيلا .

تذكرت كل ذلك فى نفس اللحظة التى كاد اليأس فيها يتغلب عليها ، فبرقت عيناها ببريق العزم ، وقالت بإصرار وحزم :

ـــ لن تفقد شقيقك أبدا يا (أدهم) .. لن يكون ذلك ما دام بصدرى نفس يتردد .. سأفعل ذلك من أجلك .. من أجلك وحدك .

ثم انحرفت بسيارتها فى الطريق الوعر الشديد الانحدار ، وقفزت بها السيارة بشكل مرعب ، وهى تنحدر بسرعة مذهلة نحو سيارة دونا (ماريا) ، التى اتسعت عيناها ذعرا وهى تهتف بفزع :

ـــ ماذا تفعل هذه المجنونة ؟ إنها سوف ....

وضغطت فرامل سيارتها بقوة ، ولكن ذلك لم يمنع ارتطام السيارتين بشكل بشع ، فتدحرجتا داخل الحديقة التى تحيط بالفيلا عدة مرات ، حتى أن أحدا لم يعد يستطيع التمييز بين هيكلهما إلى أن استقرتا وتشوهت كلتاهما بشكل مرعب ...

* * *

كان (أدهم) يعيد حشو مسدسه بالرصاصات المتفجرة حينما رأى هذه المأساة ، فشعر بقبضة قوية باردة

تعتصر صدره ، ووجد نفسه يهتف باسم (منى) فى هلع ، ثم يدور فى عقله ما يشبه الشريط السينمائى .

رأى كيف كان يغضبها بسخريته التى لم يقصد بها يوما سوى مداعبتها ، ورأى بداية عملهما معا ،وبساطتها الشديدة ، وإخلاصها الرائع ....

وتحول هلعه وحزنه فى لحظة واحدة إلى نيران من الغضب ، تأججت فى صدره ، وتصاعد دخانها إلى رأسه ، فمحا من عقله كل شىء إلا الرغبة فى الانتقام ، التى تعاظمت وتضخمت ، فبرز (أدهم) من خلف الصخور التى يحتمى بها وهو يصرخ بغضب عارم :

ـــ أيها الأوغاد .

ثم اندفع يهبط المنحدر الوعر غير مبال بالرصاصات التى تناثرت حوله ، وأخذ يطلق رصاصاته المتفجرة نحو رجال دون (مايكل) ، الذين يربو عددهم على العشرين ..

وانفجرت الرصاصات حول الرجال ، وفى

أجسادهم ، وجحظت عيونهم من شدة الدهشة والفزع .. لقد خيل لهم أن هذا الرجل الذى يندفع نحوهم ليس من بنى البشر ، بل هو عملاق انطلق من الجحيم ، ليعاقبهم على شرورهم وآثامهم ، فتراجعوا بذعر ، وكأنهم أمام جيش كامل ، على حين أخذت الرصاصات المتفجرة تصيب بعضهم ، وتقضى على البعض الآخر ..

فاندفع أحدهم نحو الفيلا ، وهو يصيح بإصرار :

ـــ لن نسمح لهذا الشيطان المصرى بالانتصار .. سأقتل شقيقه .. سأقتله فى الحال .

* * *

ما أن وصلت أصوات الطلقات النارية والانفجارات إلى مسامع الدكتور (أحمد صبرى) حتى تأكد أن شقيقه وراء كل ذلك ، فانتابه مزيج من الفرح والقلق .. الفرح لقرب نجاته ، والقلق على حياة أخيه ورفيق شبابه ، وقاده تفكيره العلمى المنظم إلى أنهم

سيحاولون التخلص منه حتما إذا ما شعروا باحتمال فوز شقيقه ، فأخذ يدور فى القبو بحثا عما يمكن استخدامه كسلاح ضد مسدساتهم القاتلة ، إلى أن شعر بباب القبو يفتح بقوة ، ورأى أمامه أحد رجال دون (مايكل) ممسكا بمسدسه فى عصبية واضحة وهو يقول :

ـــ لن تنجو أيها الطبيب .. لن يفوز بك شقيقك حيا أبدا .

قفز الدكتور (أحمد) بحركة غريزية عندما انطلقت رصاصة المجرم ، وسمع صفيرها ، وهى تخترق الهواء بجوار أذنه ، ثم دفعته غريزة حب البقاء للقفز نحو المجرم الذى أدهشته مبادرة الطبيب ، فسقط المسدس من يده على أثر لكمة وجهها إليه الدكتور (أحمد صبرى) ، وقبل أن يتخذ أهبته للصراع اليدوى عاجله الدكتور بلكمة فى فكه ، أعقبها بأخرى هشمت أنف المجرم ، وألقت به فاقد الوعى ...

توقف الدكتور (أحمد) لحظة مندهشًا مما فعل ، ثم ابتسم وقال :

ـــ ترى ماذا يقول شقيقى العزيز عندما أقص عليه ذلك ؟

ثم عاد ينتبه إلى أصوات الصراع الخارجى ، وسمع وقع أقدام البقية الباقية من رجال دون (مايكل) وهم يسارعون إلى خارج الفيلا محاولين الاحتماء بها ، فأسرع يختلس النظر خارج القبو من خلال بابه المفتوح ، فرأى سبعة رجال ظهورهم نحوه ، وهم يطلقون النار على شقيقه ، الذى يعدو بشكل انتحارى نحو الفيلا ، ويطلق رصاصة تفجرت فى بهوها ، فصاح الدكتور (أحمد) وهو يصوب مسدسه إلى ظهور الرجال :

ـــ انتهت المعركة أيها المجرمون ، أنتم محاصرون .

ألقى ستة رجال بمسدساتهم ، على حين استدار السابع بسرعة ، وأطلق النار مصيبا المسدس الذى يحمله الدكتور (أحمد) ، ثم صوَّب مسدسه إلى رأسه ، واستعد لإطلاق النار ، وقد امتلأت ملامحه بالشراسة والعنف .

١٠ ـــ آخر العمالقة ..

فوجئ الدكتور (أحمد صبرى) بشقيقه (أدهم) يقفز عبر النافذة المحطمة ، ليهبط بجسده فوق الرجل الذى انطلقت رصاصته فى الهواء ، ثم يحطم فكه بلكمة كالصاعقة ، ويقفز فى الهواء برشاقة مصوبا ركلة قوية إلى وجه رجل آخر فى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها صفارات سيارات شرطة تقترب من الفيلا ..

اندفع الدكتور (أحمد) وسط المعركة مسددا بعض اللكمات إلى رجال دون (مايكل) ، ولكنه تلقى لكمة قوية فى معدته ، وتوقع أن تعقبها أخرى فى وجهه ، ولكنه شاهد الرجل الذى سدد إليه اللكمة يتراجع بقوة بفعل قبضة (أدهم) الحديدية ، ثم شاهد ثلاثة رجال يهاجمون شقيقه بشراسة ، ولمح الدماء التى تغطى ساعده الأيسر ، فصاح بذعر :



فوجئ الدكتور (أحمد صبرى) بشقيقه (أدهم) يقفز عبر النافذة المحطمة ، ليهبط بجسده فوق الرجل

ـــ يا إلهى !! إنه يقاتلهم بذراع واحدة ، ودماء تنزف بغزارة !

ثم تشكك فيما رأت عيناه عندما شاهد شقيقه يحطم أنف أحد المهاجمين ، ثم يوجه بنفس القبضة لكمة ساحقة حطمت ضلوع المهاجم الثانى ، على حين ارتفعت ساقه بسرعة مذهلة ، لتستقر قدمه فى معدة الثالث ، وأسرع أحد الرجال نحو مسدسه ، وصوبه إلى (أدهم) الذى حاول القفز مبتعدا عن طريق الرصاصة ، ولكنه شعر بها تخترق ساقه اليمنى ، وتندفع نيران الألم إلى رأسه ، فقفز على ساقه اليسرى ، ووجه لكمة أودعها كل ما يعتمل فى نفسه إلى وجه الرجل الذى تراخت قبضته ، وتفكك جسده ، ليسقط جثة هامدة ، فى نفس الوقت الذى ارتفع فيه صوت المفتش (ألفريد) صائحا :

ـــ انتهت المعركة أيها الرجال .. فليلق كل منكم بسلاحه .

اندفع الدكتور (أحمد) نحو شقيقه المصاب ، الذى قال بمزيج من السخرية والمرارة :

ــ متأخرا كعادتك أيها المفتش .. لقد انتهى كل شىء .

حدّق المفتش فى وجه (أدهم) بدهشة هذه المرة أيضا ، وقال بغضب :

ــ شعر أحمر ، ولحية كثة هذه المرة يا مستر (أدهم) .. هل هى الموضة أيضا ؟

قال الدكتور (أحمد) وهو يحاول إيقاف الدماء التى تنزف من ساق شقيقه وذراعه :

ــ ليس هذا وقت الاستجواب أيها المفتش .. هذا الرجل بحاجة إلى إسعاف عاجل .

تنبه المفتش (ألفريد) فجأة إلى وجود الدكتور (أحمد صبرى) ، فصاح بمزيج من الدهشة والسعادة :

ــ يا إلهى !! أهو أنت يا دكتور (صبرى) .. لم أتصور أن نعثر عليك بهذه السرعة .

قال (أدهم) بسخرية مريرة :

ــ حقا !.. يا لك من بطل أيها المفتش !!

امتقع وجه المفتش (ألفريد) ، ولكنه تجاهل هذه العبارة وهو يقول :

ــ سنطلب سيارة الإسعاف فى الحال .. وستسعد السويد بأكملها بعودتك سالما يا دكتور (صبرى) .

أمسك (أدهم) بذراع شقيقه ، وقال :

ــ دعك منى الآن يا أخى .. فأنا بخير .. حاول مساعدة (منى) .. لقد جازفت بحياتها من أجل إنقاذك .

شحب وجه الدكتور (أحمد) ، وقال بجزع :

ــ يا إلهى !! (منى) ؟.. تلك الفتاة الرقيقة !

وفى نفس اللحظة دخل أحد رجال الشرطة ، وقال بأسلوب رسمى ، وبلا أى انفعال :

ــ لقد فحصت السيارتين المحطمتين يا سيدى المفتش كما أمرتنى .. لقد تمكن رجالنا من إخراج قائدتيهما .

التفت إليه المفتش (ألفريد) ، وسأله بدهشة :

ــ قائدتاهما ؟.. أهما سيدتان ؟

أجابه الشرطى بنفس اللهجة الرسمية الباردة :

ــ نعم يا سيدى .. شقراوان .. ولقد قضت إحداهما نحبها ، وأعتقد أن الأخرى فى طريقها لذلك .

أغلق (أدهم) عينيه بألم ، على حين أسرع الدكتور (أحمد صبرى) إلى مكان السيارتين المحطمتين وقد تملكه الفزع .

* * *

تحسس دون (مايكل) الضمادات التى تغطى فكه ، ثم عدل من وضع منظاره الأسود فوق عينيه وهو يستمع إلى مكبرات الصوت تعلن استعداد الطائرة المتوجهة إلى إيطاليا للإقلاع ، فتنهد بارتياح ، وسار بخطوات ثابتة نحو البوابة التى تقود إلى الممر الخاص بالطائرات ، عندما أمسكت قبضة قوية بذراعه ، وسمع صوت المفتش (ألفريد) يقول :

ــ دون (مايكل كيرليون) كما أعتقد ، أليس كذلك ؟

ارتفع عدد ضربات قلب دون (مايكل) وهو يستدير ليواجه المفتش (ألفريد) ، الذى استطرد قائلا :

ــ لقد ألغيت رحلتك يا دون (مايكل) ، فلقد وصلتنا معلومات خطيرة بشأنك .

امتقع وجه دون (مايكل) ، وشعر بإحباط شديد .. فها هو ذا يواجه موقفا خطيرا وحده بعد أن هلك معظم رجاله ، وألقى القبض على الباقين ، وبعيدا عن موطنه وبؤرة سلطانه .

وتعاظمت عوامل شتى بداخله ، ولم يقبل الاستسلام بهذا الشكل المهين ، فجمع يأسه كله فى لكمة واحدة ، وجهها إلى وجه المفتش (ألفريد) ، ثم انتزع مسدسه من جراب خفى خلف سترته ، وأطلق رصاصة نحو رجال الشرطة .. واندفع يعدو نحو الباب

الخارجى للمطار ، وانطلقت رصاصات الشرطة نحوه ، فقفز جسده فى الهواء ، وكأن يدا قوية قد دفعته فجأة ، ثم سقط على وجهه وسط صرخات روّاد المطار ، وسال من جروحه سائل الحياة ، على حين أظهرت عيونه المفتوحة وجفونه المتحجرة أنه لم يعد ينتمى إلى دنيانا على الإطلاق ..

اقترب المفتش (ألفريد) من جثة دون (مايكل) وهو يحك موضع اللكمة براحته ، ثم قال بعد أن ألقى على الجسد المسجّى نظرة سريعة :

ـــ ها قد تهاوى آخر عمالقة الإجرام .. لا بدّ أن هذا الخبر سيسعد السيد (أدهم صبرى) كثيرا .

ثم ابتسم بخبث وهو يقول :

ـــ وبرغم أننى لم أبلغ بذلك رسميا إلا أننى واثق أن هذا سيسعد المخابرات المصرية أيضا إذا لم تخدعنى فراستى .

* * *

١١ ـــ الختام ..

تأمل الدكتور (أحمد صبرى) شقيقه الذى يقف منتصبا وقد تغطى ساعده المعلق فى شريط يلتف حول عنقه بالضمادات ، واستقامت ساقه اليمنى داخل جبيرة ثابتة ، وتعلق بصره عبر نافذة زجاجية ضخمة بغرفة العناية المركزة فى المستشفى الجراحى الأول بمدينة (ستوكهولم) ، ثم اقترب منه بهدوء ، ووضع كفه على كتفه قائلا :

ـــ لقد كان عملا رائعا يا (أدهم) ، ولقد تفهمت السلطات السويدية الأمر ، واكتفت بأن نسبت إليها كل هذه الانتصارات التى حققتها ، فالقضاء على دونا (ماريا) زعيمة التهريب الإسبانية ، ودون (مايكل) الأب الروحى لعصابات (المافيا) الإيطالية ، وإعادتى سالما ليست بالأمور الهينة يا شقيقى العزيز .

ولما لم يتلق جوابا من (أدهم) الذى استمر على صمته ، قال :

ـــ ماذا بك يا (أدهم) ؟ لقد مضى ما يزيد على الساعتين وأنت واقف هكذا كالتمثال .. هوّن على نفسك يا شقيقى .. إنك لست مسئولا عما أصابها .

قال (أدهم) بصوت خافت دون أن يرفع بصره عن غرفة العناية المركزة :

ـــ لم أتصور يوما أن أراها فى هذه الحال يا (أحمد) .. انظر إليها .. لقد أحاطت بها أجهزة التنفس الصناعية ، والأجهزة التى تراقب خفقان قلبها ، وإشارات مخها ، وامتلأت أذرعتها بالأنابيب الدقيقة التى تنقل إليها الغذاء ، وتعمل على تنقية دمها .. إنها أقرب إلى الموت منها إلى الحياة يا أخى ..

نكّس الدكتور (أحمد) رأسه بأسى ، على حين استطرد (أدهم) قائلا :

ـــ هل تعلم لماذا دعوتها لتشاهد حفل تسلمك

الجائزة ؟.. لقد كانت المسكينة تتمنى زيارة إحدى الدول الجميلة دون أن يفسد رحلتها الشعور بالخطر .. ولقد أردت أن أحقق لها هذه الأمنية ثم ....

وتهدّج صوته وهو يتابع قائلا :

ـــ ثم إننى كنت أنوى أن أعرض عليها الزواج .. تصوّر .

شعر الدكتور (أحمد) بانفعال شديد يجتاحه عندما سمع عبارة أخيه الأخيرة ، وشعر بغصة فى حلقه عندما حاول أن يتكلم ، فاكتفى بأن ربّت على كتف شقيقه ، الذى قال بصوت حزين :

ـــ من تراه المسئول عن ذلك إن لم يكن أنا يا عزيزى ؟.. لقد كانت (منى) تنفذ أوامرى .. لقد طلبت منها منع دونا (ماريا) من الوصول إلى الفيلا ، ولقد أدت واجبها بمنتهى التفانى ، حتى وصلت إلى هذا الوضع الذى تراها عليه .. وضع تصارع فيه الموت مع كل ذرة هواء تلتقطها أنفاسها .

قال الدكتور (أحمد) بصوت أقرب إلى الهمس :

ـــ ربما كان من الصعب علىّ أن أجزم بنجاتها من هذا الموقف الصعب يا (أدهم) لو أننى اكتفيت بالنظريات الطبية المعروفة ..

ثم ارتفع صوته وهو يقول بإيمان :

ـــ ولكن هناك دائما ما هو أقوى وأعظم وأكثر قدرة من العلم والطب .. إنها قدرة الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ الوحيد القادر على تجاوز أعظم النظريات العلمية ، وأكثرها ثباتا .

أومأ (أدهم) برأسه موافقا ، وقال :

ـــ إننى أومن بالله ـــ سبحانه وتعالى ـــ وبقدرته يا (أحمد) ، ولولا ذلك ما استطعت احتمال هذه الأسابيع الثلاثة التى قضتها (منى) فى غيبوبتها .

قال الدكتور (أحمد) محاولا إدارة دفة الحديث بعيدا عن مأساة (منى توفيق) :

ـــ هل تعلم أن إدارة المخابرات المصرية قد تكفلت

بكل مصاريف العلاج الخاصة بها ؟.. عظيمة هى مصر .

ابتسم (أدهم) ابتسامة حزينة وهو يقول :

ـــ لقد أصيبت النقيب (منى) وهى تؤدى عملها يا أخى .

قال الدكتور (أحمد) بأسف :

ـــ هذا صحيح يا (أدهم) .. لقد أصيبت وهى تحاول إنقاذ حياتى .. كم يشعرنى هذا بتأنيب الضمير .

استدار (أدهم) ليواجه أخاه لأول مرة منذ بدء حديثهما ، وأمسك كتفه قائلا :

ـــ إن هذا طبيعة عملنا يا أخى العزيز .. لقد خاطرت (منى) كثيرا من أجل أناس لا يجمع بينها وبينهم شىء .. إنه قدرنا يا شقيقى .

ثم عاد يواجه النافذة الزجاجية التى تطل على جسد (منى) الرقيق الراقد وسط الأجهزة المعقدة ، فى غرفة العناية المركزة ، وقال بحنان :

ـــ لقد كانت سعيدة غاية السعادة عندما حصلت على ترقيتها الجديدة .. كانت كالطفلة فى مشاعرها .. كم كانت رقيقة .

قال الدكتور (أحمد) :

ـــ لا تتحدث عنها بصيغة الماضى يا (أدهم) .. لا تجعلنى أظن أنك قد فقدت الأمل .

هزّ (أدهم) رأسه نفيا بصمت دون أن يحوّل عينيه عن (منى) ، فقال الدكتور (أحمد) محاولا حثه على الابتعاد عن هذا المشهد المؤلم :

ـــ كفاك وقوفا يا (أدهم) ، إن جراحك لم تلتئم بعد ، وما زلت بحاجة إلى الكثير من الراحة والنوم .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة حزينة ، وقال :

ـــ لا أعتقد أننى سأنعم بالراحة أو النوم الهادئ ما بقى لى من العمر ، لو لم تجتز (منى) هذه الفترة الحرجة يا أخى .

ثم صمت قليلا وهو يتأمل جسدها الرقيق الغارق فى

سبات الغيبوبة العميقة ، ووجهها الهادئ الشاحب الراقد وسط شعرها الأسود الغزير ، وعاد يكرر بصوت متهدج :

ـــ لن أنعم بالراحة أبدا لو أصابها أى مكروه .

خُيّل للدكتور (أحمد) أن عينيه تخدعانه أو أن منظاره الطبى يحتاج إلى التنظيف فقد لمح لأول مرة فى حياته قطرة دمع تترقرق فى عين رجل المستحيل .

* * *

(تمت)

رقم الإيداع : ٣٦١٩ .